17ème année No 868

Le Caire - 20—2— 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٦٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٩ — ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

على محمود طه

حياته وشعره

للأستاذ أنور المعداوى

— ١٠ —

أشرت فى مقدمة هذه الدراسة إلى أن شاعرنا المصرى كان أشبه بكتاب مفتوح . أستطيع أن أقول لك وأنا مطمئن ، إننى قد قرأته كله ... شعره على ضوء حياته ، وحياته على ضوء شعره ، ناحيتان تؤلفان هذا الكتاب الذى قرأته ، وعشت بين سطوره ، وخرجت من هذه السطور بآراء عرضتها على الذاكرة فما اعترضت ، وعلى الضمير فما أنكر ، وعلى موازين النقد فما اختلفت مع أصوله كما أفهمها ومناهجه .

وقلت لك أيضاً إننى قد درست حياة على طه النفسية ، ودرست آثاره الفنية .. درستهما على طريقتى التى أومن بها وأدعو إليها كلما حاولت أن أكتب عن أصحاب المواهب أو كلما حاول غيرى أن يكتب عنهم : مفتاح الشخصية الإنسانية أو مفاتيحها أولا ، ومفتاح الشخصية الفنية أو مفاتيحها ثانياً ، والربط بعد ذلك بين الشخصيتين لتنفذ إلى أعماق الحقيقة فى الحياة والفن ، ومدى التجاوب بينهما منعكساً على صفحة الشعور المعبر عنه فى كلمات .

وقلت لك مرة ثالثة إن الذين لم يعرفوا هذا الشاعر ولم يطلعوا على دخائل نفسه وآفاق حياته ، يستطيعون إذا لم ينزعوا عن الألفاظ أثوابها النفسية ، أو يجردوا الأخيلة من ظلالها المعنوية ، أو يفرقوا بين الصور وبين وشائج اللحم والدم ... يستطيعون إذا لم يلجأوا إلى شىء من هذا كله أن يعرفوه حق المعرفة من خلال شعره ! لقد كان شعره مرآة صادقة لهذا الوجود الذى أحاط به ، لأنه كان إنساناً صادقاً فى صحبته لتلك المرآة : لم يحاول يوماً أن يقف أمامها بوجه غير وجهه ، ولم يحاول يوماً أن يلقاها بملامح لونتها المساحيق أو اختفت حقيقتها وراء الأقنعة !

وقلت لك مرة رابعة إنه كان يمثل الوضوح فى الفن ، وقيمة الوضوح فى الفن هو أنه يتيح للدارسين أن يطمئنوا على مواقع أقلامهم كلما قطعوا مرحلة من مراحل الطريق ... لا غموض فى المقدمات يدعو إلى الشك فى النتائج ، ولا ضباب على سطح النظار يحول دون الرؤية إذا التمستها العيون !

هذه بعض فقرات مما قلناه من قبل ، ونزيد عليها الآن وجهات نظر أخرى تدور حول مشكلة الغموض والوضوح فى الشخصية الفنية والإنسانية .. إن الرجل المغلق القلب فى الحياة مغلق القلب فى الفن ، وإن الرجل المعقد النفس فى الحياة معقد النفس فى الفن ، ولا خلاف فى هذه الحقيقة المستخرجة من ألوان التجارب ولا جدال ! وكل ما يصادفك من غموض وشذوذ

وانحراف عن كل ما هو مألوف ومعروف هنا ، يمكنك أن ترده إلى صوره الماثلة وأحواله الشابهة ولحظاته المطابقة هناك : شخصية فنية مبهمة ومضطربة وغير مفهومة فى هذا الجانب، تقابلها شخصية إنسانية تصطبغ بكل هذه الصبغات وتتصف بكل هذه الصفات فى الجانب الآخر . ومهما حاول الفنان أن يظهر أمام الناس بوجه أرجوانى غير وجهه الأصفر ، أو بقلب إنسانى غير قلبه المقفر ، فلن يستطيع أن يخدع بعض العيون المستشفة لما وراء الطلاء من حمائق ، ولا بعض الآذان الراصدة لما بين الجوانح من خفقات . وهذه هى اللحظة الحاسمة فى حياة كاتب التراجم كلما حاول أن يدرس واحداً من أصحاب الفن ، سالكا كل الطرق التى يمكن أن تدفع به إلى الهدف المرجو وتقذف به نحو الغاية المنشودة . وليس كل هدف يسير البلوغ وليست كل غاية قريبة المنال ، وما دام الأمر كذلك فلا مناص من استخدام علم النفس الأدبى وتسليط أضوائه على كل فجوة تتعذر فيها الرؤية حين يكتنفها الغموض ويلفها الظلام !

واستخدام علم النفس الأدبى من ألزم الأمور فى كل دراسة تريد أن تأمن الزلل فى التأويل وأن تتقى الخطأ فى التعليل ، وأن تتجنب كل متحدر فى طريق التشخيص والتشريح وإصدار الآراء والأحكام. ومع ذلك فهناك شخصيات مهوشة السمات مطموسة الحدود معقدة الطباع ، ترهق الدارسين حين يضعونها تحت مجهر التحليل النفسى وتكلفهم من الجهد والصبر والمثابرة فوق ما تحمل طاقة الأحياء . وفى الكفة المقابلة شخصيات أخرى واضحة سهلة التناول مبسوطة الغور مكشوفة الأعماق ، ينفذ إليها الدارسون حين يضعونها تحت المجهر نفسه دون أن يصيبهم عنت أو إرهاق .

من هذه الشخصيات الأخيرة شخصية هذا الشاعر المصرى على محمود طه، ومن تلك الشخصيات الأولى شخصية ذلك الشاعر الفرنسى شارل بودلير . ومن الذى تناول بودلير بالدراسة النفسية فأجهده وأرهقه وأعنته بما يشبه الدوار ؟ إنه الكاتب والفيلسوف الفرنسى جاك بول سارتر ... وعلى الرغم من أن سارتر قد وصل من وراء دراسته لبودلير إلى ما لم يصل إليه فى رأينا كاتب تراجم من قبل ، فقد خرج من هذه الدراسة وهو مكدود الأنفاس يخيل إليك أن جبينه قد تصبب بقطرات من العرق !

لقد كان بودلير فى رأى الحق إنساناً غير مفهوم ولا مهضوم ، ومع ذلك فقد حاول سارتر ما وسعته المحاولة أن يفهمه ويهضمه ، وأن يقدمه إلى الناس فى صورته الشاذة المعقدة وقد زايلها أكثر ما فيها من شذوذ وتعقيد ... وهكذا تفعل الدراسة النفسية حين ترفع السجف المدلاة على نوافذ الشخصية المغلقة ليندفع الضوء إلى شتى الجوانب والأركان !

وأين هى عناصر الشذوذ فى هذه الشخصية البودليرية الغريبة الأطوار ؟ هى فى تلك النواحى الإنسانية المتباينة التى لا تكاد تجتمع فى منهج واضح محدد يلم شعثها أو يؤلف بين ما فيها من شتات . لقد كان بودلير رجلا يفتش عن الآلام فى كل مكان ، ويسعى إليها سعياً متواصلا ليثور عليها آخر الأمر تلك الثورة المكبوتة العاجزة التى لا تدفع شراً ولا تدرأ خطيئة ... كان مثالياً بينه وبين نفسه ، ولكنها المثالية القاصرة على عالم الذهن وحده لا تكاد تتعداه . هو فى « وجوده الذهنى » إنسان مترفع عن كل ما يخدش الكرامة ويشين الخلق ويهبط بالسمعة إلى حمأة الموبقات، وهو فى « وجوده الواقعى » إنسان غارق فى لجج الإثم ضال فى متاهات الغى متخبط فى ظلام الوزر والمعصية . يدعو إلى الشىء ولا ينفذه ، ويرسم الطريق ولا يسير فيه ، ويضع لحياته خط سير هو أول المنحرفين عنه والخارجين عليه ... يحب الوحدة ويتوهم فى ظلالها راحة نفسه ونعيم دنياه ، ولكى يظفر بها فلا بأس من أن ينفر منه الناس وأن يبغضهم فيه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بأن يرمى شخصه بأقبح التهم ، وينعت خلقه بأشنع النعوت ، ولا ضير من أن يشيع عن نفسه أنه قتل أباه وانحدر من الشذوذ الجنسى إلى أدنأ بؤره وأحط مهاويه هذا كله ليحقق لنفسه تلك الوحدة المنشودة التى يخلو فيها إلى هواجسه بعيداً عن دنيا الناس ...

ومع ذلك فما أكثر ما يضيق بهذه الوحدة ويفزع من أشباحها الرهيبة ويفر من ظلالها الخانقة ! وهو ، ذلك المخلوق الذى يسمو « بأفكاره » إلى مدارج العلاقة الجنسية النظيفة ، تراه يهبط « بأفعاله » إلى أقذر ما يمكن أن تلحقه هذه العلاقة بإنسان ... تراه يتصل بإحدى العاهرات ذلك الاتصال الشائن الذى يخرج منه بأخبث الأمراض وأمدح العلل ، ثم لا يحاول أن يقصد إلى طبيب ليلتمس لجسمه المنهك أى وسيلة من وسائل البرء الذى

يعقب العلاج ! وهو ، ذلك الرجل العاجز عن تصريف أموره ، المشلول الحركة في معركة الحياة ، يسعى عن طيب خاطر إلى إيجاد من يشرف عليه ويرعاه ، حتى إذا وجد «مجلس العائلة» أو مجلس الوصاية ليشرف على هذا الرجل الذي يفر من المسئوليات الضخام وغير الضخام ، تراه يثور على هؤلاء « الجلادين » الطغاة الذين يذيقونه الذل ويسومونه خسف العذاب ! وهو ، ذلك الفنان اللامع الذي كان يتطلع إلى أن يظفر بمكانه بين الخالدين من أعضاء الأكاديمية الفرنسية ، تراه يعبر كل درب يمكن أن يباعد بينه وبين المكان الخالد . وأعجب العجب أنه كان ينشد من كل قلبه مثل هذا الإخفاق ! وهو ، ذلك الشاعر الجهير يخرج للناس يوماً ديواناً من الشعر يطلق عليه « أزهار الشر » ليقف بسببه في ساحة القضاء . ترى أكان يهدف من وراء هذا الشعر إلى مؤازرة الذين ينادون بمذهب « الفن للفن » ، أم كان يهدف إلى شيء آخر تتردد أصداؤه بين جنبيه وترسب في قرار سحيق ؟ أغلب الظن أنه كان يحب أن يكون منبوذاً من الناس تلاحقه اللعنة في كل عمل من أعماله الأدبية والإنسانية ... وإلا لما تعمد أن يطالع الناس بهذا الشعر الذي عرضه للادانة من جانب القضاء الفرنسي ، وهي إدانة مادية ومعنوية !

هو إذن في رأي سارتر رجل مضيع عاجز سهم يحرك يديه في شتى الاتجاهات ليثير من حوله الزوابع والأعاصير ، حتى إذا هبت عليه من كل ناحية وعصفت بكيانه وأودت بوجوده وقف حيالها مكتوف اليدين ... رجل عاش ولكنه لم يستطع أن يفسر لنا هذه الحياة التي عاشها ولا أن يكيف لنا هذا الوجود الذي خلق فيه رجل كون مزاجه بنفسه واختار مصيره برضاه ، وخانته القدرة على أن يخرج من أخطائه وآثامه بمذهب يحدد ذاتيته في زحمة الوجود أو يبرر مكانه في غمار الحياة. هذه الشخصية العجيبة الغريبة المتقلبة تحتاج إلى مفتاح يعالج أبوابها المغلقة على فنون من الطلاسم والأسرار ... وها هو سارتر يحاول أن يقدم إلينا هذا المفتاح .

بودلير الذي كان يفتش عن الآلام كان يريد أن يتعذب ، والدليل على ذلك مستخلص بوضوح من أخباره وآثاره ، من أخباره الخاصة وآثاره الفنية ... كان يسعى إلى صهر روحه في بوتقة الألم والعذاب ، وكان يحلو له أن يتأوه كلما أحس في نفسه حاجة إلى الثورة . كان يبغي أن يضطهد نفسه ليكون اضطهاده لنفسه عقاباً لها ، عقابا على عجزه وضياعه وما اقترف في حقها من أخطاء وآثام . أكان ذلك من جانبه لوناً من العقاب الذاتي الناتج عن تغلغل النزعة الدينية المسيحية بين جوانحه كما ذهب إلى ذلك بعض النقاد ؟ إن سارتر ينبذ هذا التفسير المتهافت الذي لا يستطيع أن يقف على قدميه ، لأن هناك أدباء أشربت نفوسهم تلك النزعة الدينية منذ المولد وخلال النشأة والتربية ثم ساروا ردحاً من الزمن في نفس الطريق الشاذ الذي سار فيه ، ومع ذلك فما أبعد الشقة بينهم وبين بودلير في لقاء الحياة بمثل ما لقيها به من عقاب للنفس واضطهاد للذات!

إن المسألة إذن ليست مسألة تلك النزعة الدينية من قريب ولا من بعيد ، ولكنها مسألة مركب النقص ومركب التعويض ... رجل كان يشعر في أعماقه أنه لا وجود له أو أن وجوده كان أشبه بالعدم ، ومن هنا راح يلتمس شتى السبل ليقنع نفسه أو ليخدعها بأنه موجود . وهذه الخطوط المتنافرة التي كانت تحدد اتجاهات مصيره في الحياة ، تعود آخر الأمر لتلتقي في نقطة ارتكاز وجودية عمادها الكبرياء ... كبرياء الذات المهزومة !!

وما أشبه جوانب الشخصية البودليرية بعدد من الغرف النفسية التي تفتحها كلها بمفتاح واحد : غرفة للألم ، وتسلك هذه إلى غرفة أخرى للعذاب ، وتسلك هذه إلى غرفة ثالثة للعقاب ، وتسلك هذه إلى غرفة رابعة للسخط والثورة، وتسلك هذه إلى غرفة خامسة للكبرياء ... أعني أنه رجل يريد أن يجد نفسه لأنه تائه مضطرب ، وهذا هو الطريق: بحث عن ألوان الشذوذ حتى اكتظت بها حياته، وحين تحقق له ما يبتغيه بدأ يتعذب، ثم طاب له أن يتخذ من هذه المرحلة معبراً إلى العقاب الذاتي الذي يتيح له أن يتبرم ويثور ، وفي هذا تحقيق لكبريائه ، وجوهر تلك الكبرياء الموهومة آهة حانقة على المجتمع ساخطة على الوجود ... لتشعره بينه وبين نفسه بأنه موجود !!

هذه هي خلاصة رأي سارتر في شارل بودلير ... ومنها يتضح لك أن الكاتب الفرنسي قد أجهد نفسه كل الجهد ليصل إلى أبعد أغوار هذه الشخصية القلقة المعذبة ، بعد أن طاف بنظره

الثاقب بين ما خلف صاحبها من أوراق ورسائل ، وما ترك من أخبار ونوادر ، وما نشر من آثار فى الشعر والنثر ، وبعد أن راح يجمع بين أطرافها المتنافرة ويوفق بين أحوالها المتناقضة ... تلك الشخصية التى لا تكاد ترضى حتى تسخط ، ولا تكاد تحب حتى تكره ، ولا تكاد تقبل حتى تدبر ، ولا تكاد تثور حتى تذعن ، ثم تتخيل بعد هذا كله أن فى الاستعلاء شيئا من العزاء ! ومن هذه الخلاصة يتضح لك أيضا أثر الدراسة النفسية فى تناول الشخصية الفنية ، ذلك التناول الذى يعرضها لك عارية من كل ثوب من أثواب الغموض والابهام ! ... ونحن حين نقدم إليك هذا النموذج النادر من نماذج أدب التراجم ، فإنما نقدمه لنستشهد به على أن التعقيد بقدر ما يطبع صاحبه بطابعه ويسمه بميسمه فإن الوضوح من شأنه أن يقوم بمثل هذا الدور فى مثل هذا المجال !

ولقد كان الوضوح كما قلنا لك لازمة من لوازم شاعرنا المصرى فى كل فترة من فترات حياته وكل وجهة من وجهات فنه ، ولك أن تعده أول مفتاح يهيىء لنا أن نضع أيدينا على منافذ شخصيته الأدبية والإنسانية ، دون أن نلجأ إلى الفروض التى تضع الشىء موضع الاحتمال فى أن يكون حقيقة من الحقائق أولا يكون ... ولقد كان على طه واحدا من هؤلاء الذين يفتحون القلب على مصراعيه أمام الخلص من الأصدقاء ، حتى ليخيل إلى من يعرفه منذ شهور أنه يعرفه منذ أعوام وأعوام . كان واضحا فى فرحه كما كان واضحاً فى حزنه ، وكان واضحاً فى سره كما كان واضحاً فى جهره ، حتى لو أنه حاول أن يصمت لكان صمته فنا من الكلام ، أو حاول أن يكتم لكان كتمانه ضربا من البوح والإفضاء ! ومن هنا كانت حياته على لسانه سلسلة من الأحاديث وكانت فى شعره سلسلة من الاعترافات ... واستمع إلى هذا « الاعتراف » فى موضعه من الصفحة الثالثة والثلاثين من « شرق وغرب » ، وهو حديث ينبع من قلب أبيض كزهرة الحقل البيضاء :

إن أكن قد شربت نخب كثيرات وأترعت بالمدامة كأسى
وتولعت بالحسان لأنى مغرم بالجمال من كل جنس
وتوحدت فى الهوى ثم أشركت على حالتى رجاء ويأس
وتبذلت فى غرامى فلم أحبس على لذة شياطين رجسى
فبروحى أعيش فى عالم الفن طليقا والطهر يملأ حسى
تائها فى بحاره لست أدرى لم أزجى الشراع أو فيم أرسى
فى قلب كزهرة الحقل بيضاء عنها السماء من كل قبس
هو فيثارتى عليها أغنى وعليها وحدى أغنى لنفسى
لى إليها فى خلوتى همسات أنطقتها بكل رائع جرس

* * *

كم شفاه بهن من قبلاتى وهج النار فى عواصف خرس
ووساد جرت به عبراتى ضمك يوما منه وإطراق أمسى
أيهذى الحذور ! أنوارك الحمراء كم أشعلت ليالى أنسى
أحرقتهن ! آه لم يبق منهن سوى ذلك الرماد برأسى !

هذا شعر صادق كل الصدق ، وأصدقه ذلك الوساد الذى جرت به العبرات ... ولابد لك من أن تقف معنا طويلا عند هذا البيت من هذه القصيدة الاعترافية ، لأن فيه مفتاحا رئيسياً يفصل بين فترتين من حياة الشاعر : فترة تحفل بالدموع وفترة تمج بالبسمات ، الأولى فترة الأمس أو ما قبل الثلاثين ، والثانية فترة اليوم أو ما بعد الثلاثين ... وها هو ذا يعترف بأن يومه يضحك لمنظر العبرات فى حين يأسى لما الأمس ذلك الأمس المعبر عنه بالإطراق ! وفى الفصل المقبل نحدثك عن هاتين الفترتين من حياته ، وأثرهما فى خلق مزاجين متباينين كل التباين فى نطاق الشخصية الفنية والإنسانية ! .

(يتبع)

أنور المعداوى

من الأدب الفرنسى

قصائد وأقاصيص

للأستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها .

وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

كارلو نلينو

المستشرق الكبير

لمحة تاريخية يستدل منها على مدى تعمقه في العلوم عند العرب، وبنوع خاص في الجغرافية والهيئة وآداب اللغة والفقه

للأستاذ يوسف الخوري

في يوم صافي الأديم من عام ١٩٠٩ أطل على إدارة مجلة الهلال الزاهرة بغية التعرف على إحدى أمهات المجلات العربية في مصر شاب إيطالي حسن الهندام وسيم المحيا يشع من عينيه بريق الذكاء وتم على رزانته لحية شقراء تعبث بها أصابع ارستقراطية. وما وقف بباب غرفة رئيس التحرير حتى رفع قبعته مسلماً وانحنى يتأدب محيياً بعبارة عربية لا عجمة فيها ولا لكنة، هي: «السلام عليكم يا سادتي الكرام»

وما سمع الحاضرون هذه التحية العربية الخالصة حتى توتهم الدهشة ووقفوا إجلالاً لها ولملقيها وهم يكادون لا يصدقون أنهم أمام أجنبي ينطق بلسانهم بفصاحة العرب الأقحاح.

أما هذا الزائر الشاب المتكلم بالعربية كأحد أبنائها فلم يكن سوى الأستاذ كارلو نلينو الذي أم القاهرة بطلب من الجامعة المصرية لكي يدرس فيها باللغة العربية تاريخ علم الفلك عند العرب.

ولم يكن تلامذة الجامعة أقل إعجاباً بفصاحة أستاذهم الأوروبي وسعة اطلاعه طيلة المدة التي قام فيها على تدريسهم حتى أواخر عام ١٩١٢، كما تعداهم الإعجاب عينه إلى الجماهير، لا في مصر وحدها بل في سورية ولبنان والبلدان العربية أيضاً حتى ليبيا وطرابلس وتونس الخضراء والجزائر والمغرب وكل البلدان التي أسعد الحظ رجالها وعلماءها بالتعرف إلى هذا العالم الكبير والمستعرب النادر المثال الذي طاف بكل هذه البلدان بعد أن سبقته إليها شهرته وتآليفه فكان في كل مكان حله وكل مجلس ضمه موضع تقدير أهل العلم، لا لحسن نطقه وطلاقة لسانه في العربية فحسب، بل لسعة معارفه. ولا بدع فهو المستعرب الفذ الذي ملك ناصية اللغة وتعمق في دراستها وتمكن من تاريخ العرب وآدابهم وحضارتهم وكل فرع من فروع اجتهادهم العلمي غير تارك شاردة ولا واردة من فقه أو لغة أو نحو أو حساب أو فلسفة أو تاريخ أو هيئة حتى بلغ الغاية فيه على شكل لم يتأت لأي واحد من المستشرقين الذين تقدموه أو خلفوه.

وكل من يدرس تاريخ هذا البحاثة المجاهد في حقل العربية دون كلل ولا ملل يرى أنه تعشق العربية والأبحاث الشرقية منذ حداثته وبرع في هذه الدراسات حدثاً ويافعاً حتى توصل في كهولته إلى التسيطر الفكري على كل ما يتعلق بهذه العلوم فأصبحت له الكلمة العليا بين المستشرقين وقوله هو القول الفصل في كل نواحي الفكر العربي من حضارة وتاريخ في الجاهلية والإسلام لغة ولهجات وقبائل وعادات وأدياناً ونحلا وسياسة وفلسفة واجتماعاً، حتى إن المرء ليعجب كيف أن قوى رجل واحد وحياة واحدة تكفي لاستيعاب كل ما تقدم، إلى جنب إنتاج خصب امتاز بالدقة والتحقيق ومعرفة تامة بالنصوص على تسام في القصد وتنزه عن الهوى. فعمل الأستاذ نلينو ونتاجه العلمي رفعاه إلى مرتبة سامية بين كبار المستشرقين مثل (سنوك هورجرنيه) الهولاندي، وجولد زيهر المجري، ونولدك وولهوزن وريت.

وقد أسعدني الحظ بالحصول على جل مؤلفات هذا المستعرب الأكل الذي ظل يخدم العربية والشرق حتى الرمق الأخير فأحببت أن ألخص سيرته لكي يرى كل عربي رأي العين كم نحن مدينون له ولأمثاله من المستشرقين، إذ هم الذين كشفوا لنا مسميات تاريخنا ولغتنا لعلنا نقتفي إثرهم فنعمل بمثل جدهم ونشاطهم وتفانيهم على إحياء التراث المجيد الذي خلفه لنا أجدادنا فأهملوه ورثوه الشرعيون وحفل به الغرباء.

١

ولد كارلو نلينو في تورين عام ١٨٧٢ وفيها تلقى دروسه الابتدائية والثانوية وتعشق منذ حداثته علم تقويم البلدان وأكب على مطالعة كتب الرحلات. وطالما حدثته نفسه كالكثيرين من أنداده باقتعاد غارب الأسفار واكتشاف المجاهل، ولكن حلمه هذا لم يتحقق، وكان شأنه شأن الكثيرين سواء ممن امتطوا متن الخيال صغاراً وكبابهم كباراً. على أن إخفاقه كان أجدى عليه

فازداد انصباباً على الدرس وتقصى آثار أصحاب الرحلات وأخبارهم وأوصاف البلدان التي أموها حتى استخلص منها وهو بعد في سن الفتوة خريطة لأوساط أفريقيا ومجاهلها .

ولم يكن شغفه باللغات الأجنبية دون شغفه بعلم الجغرافية . وشعر بميل خاص إلى اللغة العربية لانتشارها في بلدان كثيرة من قارتي آسيا وأفريقيا فأكب على دراستها في مجموعة عربية وقعت له في مكتبة بلدية أودينى . ولما تبين ذووه رغبته هذه أهدوا اليه أجرومية في العربية الدارجة ألفها بالإيطالية جوزبه سابيتو . وكان مؤلف ذلك الكتاب مرسلا وجغرافيا معاً طاف بلاد الحبشة والمستعمرات الإيطالية الواقعة على البحر الأحمر وعلم العربية في مدرسة فيرنزة العالية ثم في جنوى برغم أنه كان أعرف بالعربية العامية منه بالفصحى . ولكن الشاب نلينو استعان بهذا الكتاب السقيم كما استعان بغيره من الكتب التي كانت تصل إليها يده حتى قطع بكده وثاقب فكره شوطاً بعيداً في معرفة اللغة العربية وأصبح قادراً على تفهم النصوص الصعبة قبل أن تفتح له الجامعة أبوابها .

وبينما كان مكباً على درس العربية عكف على دراسة اختيها السريانية والعبرية اللتين تعمق فيهما تعمقه في العربية .

وفي سنة ١٨٩٩ رشح نفسه لدخول فرع الآداب في كلية تورينو لوجود كرسي فيها للدروس الشرقية يتولاها مالان شهيران أحدهما ايطالو بيزي الذي لم يحل تخصصه في الدروس الفارسية دون إلمامه بالعربية إلى حد أن أصدر مؤلفا في آدابها . وعلى يده تضلع نلينو من العربية وظل حياته كلها حافظاً جميله . على أن ميله للابحاث الجغرافية كان يحفزه للتتلمذ على أحد أساتذة هذا العلم المشهورين بتفوقهم وهو جويدى كوراصاحب مجلة الكوزموس العلمية وأستاذ الجغرافية في كلية تورينو ثم في كلية روما .

وكانت باكورة ميله المزدوج إلى العلوم العربية وعلم الجغرافية إصداره في العام الأخير من دراسته أول تأليف في هذه الابحاث نشره لأستاذه جويدى في مجلته تحت هذا العنوان: « قياس العرب درجة من قوس نصف النهار وتعديلها بالقاس المترى » وفي مستهل المقال يخبرنا أنه فرغ من تأليفه سنة ١٨٩٠ ولكن نشره تأخر عامين بسبب اضطراره إلى الإقامة في مونا كو لفحص المخطوطات العربية في مكتبتها الملكية وإعداد برنامج استغرق عمله فيه بضعة أشهر . وفي هذه الرواية ما يدل على مبلغ تضلع هذا الفتى من العربية إلى حد أن يطالع وينتقد من نصوصها ما يتعذر فهمه حتى على المحنكين في حين أنه لم يكن إذ ذاك قد جاوز الثامنة عشرة .

وهذه الباكورة الناضجة من تآليف نالينو نمت برغبته في التخصص في الأبحاث الجغرافية والفلكية وما إليها عند العرب . وقد خصص لهذا القصد عدة مقالات نشرها في مجلة الكوزموس، منها مقالة ضافية في خمسين صفحة كبيرة ذات أهمية بالغة في تاريخ الجغرافية عنونها : « الخوارزمي وتجديد جغرافية بطليموس عند العرب » وذلك على إثر تناوله بالدرس العميق الدقيق نسخة خطية وحيدة عثر عليها في مكتبة ستراسبورغ من كتاب صورة الأرض للخوارزمي . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن الدقة في البحث وحرية النقد كانتا ألوفتين على الأخص في زمن المأمون في حين أن العرب كانوا يومئذ في بدء نشأتهم العلمية ولبطليموس عندهم منزلة رفيعة تحيط اسمه بهالة من الإجلال والاحترام ، لا بل إنهم كانوا ينظرون إلى علمه ومعارفه الفلكية نظرهم إلى الخوارق أو الأعاجيب .

وفي هذه المقالة كما في ما كتبه سواها قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين أظهر نالينو من المقدرة العلمية في الحساب والهيئة وقراءة المخطوطات العويصة ما حدا المالين سكيابارللي — المستعرب منها والفلكي — إلى تحميله سنة ١٨٩٤ مسؤولية استبهظها علماء طائر والصيت يفوقونه سناً هي إشرافه على طبع أجل المخطوطات العربية في علم الفلك وهو كتاب الزيج الصابئي للبتاني ومؤلفه أبو عبد الله محمد بن ثابت بن سنان بن جابر الحراني أزهر في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر إبان بلوغ الحضارة العربية أوج مجدها . وكتابه أس من أسس علم الهيئة لا عند العرب فحسب بل في الغرب أيضا حيث ترجم إلى اللاتينية وانتشر واشتهر حتى أصبح الدستور الذي يمشي عليه هذا العلم في أوروبا المسيحية حتى عهد البعث أو التجديد . ولم تأفل شمسه إلا بعد تغلب نظرية كوبرنيكوس على معتقد الفلكيين الأقدمين .

وأقبل نالينو بملء الارتياح على هذا العمل وهو أعلم الناس بما سيعترض سبيله من المشاق فتوجه سنة ١٨٩٤ إلى مدريد لكي

يطلع على النسخة الوحيدة المعروفة لهذا الكتاب فى مكتبة الأسكوريال . ولكنه ما عتم أن رجع إلى نابولى لكى يمهد لقيامه بتلك المهمة على الوجه الأكمل، وذلك بدخوله كليتها الجامعة لكى يدرس فيها أصول علم الفلك فيعد نفسه لمجابهة المشاكل التى لا بد أن تعرض له فى كتابه هذا خصوصاً ما استعصى منها فى جداول أبعاد النجوم وحركات الكواكب المتحيرة التى تؤلف معظم الكتاب وهى أصعب قسم فيه . ولكى يتمكن من تصحيح ما ارتكبه النساخ من إخلال وتحريف أجهد نفسه فى تحقيق كل العمليات الحسابية التى بنيت عليها أبعاد النجوم وتثبت من أرقامها المشيرة إلى كل نجم بمفرده . ولم يكتف من علم الهيئة بالنظريات بل اقتفى إثر العرب فاكب على الدرس العلمى جامعاً ومتصفحاً طائفة كبيرة من النصوص غير المطبوعة التى لم يوفق إليها سواه كما راجع عشرات الترجمات اللاتينية القديمة التى ضاع الأصل العربى المنقولة عنه وأعاد النظر فى الأصول اليونانية والفارسية والهندية وكل علوم الأقدمين الذين أخذ عنهم العرب .

وبفضل انكبابه المنقطع النظير وتنقيبه المتواصل تكلل سعيه بالنجاح فأتحف العلم بثلاثة مجلدات ضخمة جاءت فى ١١٣١ صفحة من القطع الكبير يشتمل الأول منها وهو ثلثها على النص العربى للزيج الصابئى ويليه الجزء الثانى وهو ترجمة لاتينية للنص العربى مع شروح وتعليقات ومقدمة تاريخية تعرف الصابىء وتآليفه ومكانته بين فلكيى العرب . أما الثالث فيتضمن ترجمة جداول الكتاب باللغة اللاتينية مع فهارس مهمة ومعجم نفيس للمصطلحات الفلكية وشروح لاتينية للتعابير العربية، وفى نهاية الكتاب فهارس تهدى إلى كل مادة من مواده.

وكان من شأن هذا التأليف الذى أنفق المؤلف فى وضعه أعواماً عديدة أنه أتى بأبحاثه نوراً جديداً على علم الفلك وكشف عما بلغه العرب فى شرحه وجلائه وأظهر للملأ مقدرة ناشره العجيبة فى العربية وتفوقه فى شتى فروعها ومصطلحاتها العلمية القديمة والحديثة ، مما أكسبه شهرة واسعة فى عالم الاستشراق وأحله الذروة بين علماء الهيئة المعدودين .

ومما زاد فى شهرته فى هذا المضمار حادث جرى له مع زميله المستشرق السويسرى سوتر فقد اطلع على كتاب ألفه هذا وضمنه رأيه فى فلكيى العرب فكتب له بشأنه رسالة خاصة جاءت فى كراس كامل ضمنه ملحوظاته وتنقيحاته وشروحه وتفاسيره ، وبلغ من اهتمام العالم السويسرى برسالة زميله الايطالى أن أجلها لأهميتها التاريخية ونشرها كملحق لكتابه مما كان له أجل وقع فى الأوساط العلمية وعاد بالفخر على المستدرك والناشر معاً .

من أجل ما تقدم تسنم نلينو أعلى المراتب عند العلماء المحققين وأصبح مرجعاً يعتمد عليه فى كشف الغوامض وحل الرموز الفلكية .

— ٢ —

ولا بدع وهذا شأنه وخطره أن يعهد إليه بكتابة مقالات فى علم الفلك وأحكام النجوم لدائرتى معارف عالميتين هما الموسوعة الاسلامية التى تطبع فى هولاندا وموسوعة أخرى انكليزية .

على أن ما يعنينا مباشرة هو وقوع الاختيار عليه عام ١٩٠٩ لإلقاء الدروس فى الجامعة المصرية فى علم الفلك عند العرب وسواهم ممن تقدموهم ، فلبى طلبها وراح يحيى فى ذلك القطر العربى هذه الدروس التى كان من تفوق العرب فيها بعد أن أكسبتهم شهرة عالمية ولكنها لسوء الحظ أصبحت عند أحفادهم أثراً بعد عين .

واستفاض نالينو فى أبحاثه فى هذا العلم لا عند العرب فحسب بل عند الأقدمين الذين أخذ عنهم العرب كما أبان عما أخذه علماء القرون الوسطى بدورهم عن العرب . وبعد أن سرد تعريفات هذا العلم عند الأقدمين والمحدثين أخذ فى الفحص عن مصادر أخبار فلكيى العرب ومؤلفاتهم مبتدئاً بما كان يعرفه عرب الجاهلية عن السماء والنجوم وحساب النسيء ومنازل القمر وأنوائها . وتطرق إلى مبادىء علم الفلك عند الأمة الاسلامية وما كان من تأثير علم الفرس غيرهم وما ورثوه عن اليونان والهنود وتعريبهم لكتبهم . وبعد هذه التوطئة أخذ فى ترجمة الذين اشتهروا من الفلكيين العرب وذكر تآليفهم التى وصلت إلينا وتلك التى عبثت بها أيدى الضياع وتوغل فى الفحص عن أهم مباحث علم الهيئة موضحاً رأى علماء العرب فى كل منها فشرح أقوالهم فى طبيعة الأفلاك والكواكب وأصل نورها الخ ، وأخيراً دار كلامه على علم أحكام النجوم مبيناً ما أخذه العرب عن أسلافهم وما اخترعوه هم أنفسهم ، وأورد المناقشات التى دارت رحاها بين المتكلمين والفقهاء والفلاسفة

والمنجمين فى تأييد هذا العلم أو بطلانه، فجمع هذه الدروس القيمة فى كتاب أتى فى ٣٧٠ صفحة ، طبعه فى روما سنة ١٩١١ ، مع فهارس عامة وحواش وتعاليق جعلته تحفة من التحف . وقد تكرمت آخراً الآنسة كريمة الأستاذ الدكتورة مارينا نالينو فأحفتنا بهذا الكتاب القيم فشكراً لها على هذه المنة .

وبلغ من ارتياح عمدة الجامعة المصرية إلى دروسه وأبحاثه أن جددت التعاقد معه دورتين أخريين حتى سنة ١٩١٣ . ومما زاد فى دهشة ذوى الاطلاع تبريزه فى تاريخ علم الأدب عند العرب على وعورة مسالكه وخشونة مركبه لأجنبى ، ناهيك بأنه كان إذ ذاك معدوداً من اختصاص العلماء المصريين وحدهم فليس لأجنبى أن يقدم عليه وإلا تعرض لسهام النقد وأثار السخرية والهزء . ولكن مستشرقنا تغلب على كل هذه الصعوبات لأن عربيته كما قدمنا كانت سالمة من كل شائبة لفظاً ومبنى . وبدلا من أن يجرى على المألوف فيدرس الأدباء تبعاً لترتيب الحروف الأولى من أسمائهم نسق تاريخهم وقسمهم لما طرأ على علم الأدب من تطورات جوهرية فى عصوره الجاهلى والمخضرم والأموى والعباسى ودرس كلا من هذه الحقب مبيناً الخاصية الأدبية والفنية التى تميزت بها عن سابقتها ولاحقتها ، متقصياً فى كل حقبة النتاج الفكرى الذى تفردت به نظماً ونثراً ، مما أنزله فى الأوساط الأدبية منزلة لا ينازعه فيها منازع وجعله ذا أثر بين فى التقدم العجيب الذى أحرزته اللغة العربية فى الربع الأول من هذا القرن . ويكفينا للتدليل على صحة هذا الرأى أن كان بين تلامذته المدودين الدكتور طه حسين بك زعيم المدرسة المصرية الحديثة فى التاريخ والآداب العربية والذى طالما اعترف بأنه مدين لأستاذه تاليتو بثقافته الأدبية ونضجه الفكرى .

أما البشرى السارة التى نزفها إلى القراء فهى أن هاتيك الدروس التى استقى الأستاذ نالينو مادتها من مخطوطات قديمة لقى صنوف العناء فى قراءتها واستجلائها واعتمد عليها فى مقام التدليل والاستشهاد إثباتاً لنظرياته واستنتاجاته أصبحت فى مأمن من الاندثار إذ ستضمها قريباً من مدافنها كريمته الدكتورة ماريا نالينو فى كتاب متقن الطبع يضم تعليقات وحواشى ضافية وفهارس عديدة . وهى قمينة بالاضطلاع بهذا العبء لأنها من أوسع الناس اطلاعا وأطولهم باعا فى هذه الأبحاث فى لغتنا واللغات الأجنبية جزاها الله خيراً وأبقاها خير خلف لخير سلف .

وللاستاذ نالينو عدا مؤلفاته الكبيرة مقالات عديدة نشرتها له المجلة الخديوية المصرية سنة ١٩٠٧ فى الجغرافية وأسماء الأمكنة فى البلاد ، على الأخص ما وضعه من القواعد لنقل الأسماء العربية إلى الايطالية وكيفية التوصل إلى ضبط الأسماء الجغرافية فى طرابلس وبرقة وما كتبه من المقالات العلمية للموسوعة الايطالية . وقد امتاز فى كل ما كتبه بالتعمق فى الدرس وإيفاء الموضوع حقه من البحث والتنقيب كما كان بطبعه عدواً للمطروق والسطحى فيلج العباب ويغوص على اللباب ويعود بكل مجهول طريف .

— ٣ —

وإذا انتقلنا من علوم الطبيعة إلى علم العقل نرى إنتاج نالينو فى هذا الحقل ينمو ويزداد . وإذا نظرنا إلى اللغة من مختلف نواحيها فصيحها وعاميها وبائدها ، نرى نالينو قد امتلك ناصيتها وأخذ بأعنتها حتى ليكاد يلم بكل ما دق وخفى من قواعد صرفها ونحوها ولا يلتبس عليه أدنى صوت من مقاطع لهجاتها . وأصدق شاهد على قولنا هذا كتابه فى « العربية المتكلم بها فى مصر » الذى أصدر الطبعة الأولى منه سنة ١٩١٠ وأعاد طبعه سنة ١٩١٣ . وبيت القصيد فى هذا الكتاب مقدمته التى لا تتأتى كتابة مثلها إلا لعربى متضلع من لغته إلى أبعد حد

ومثل ذلك يقال فى الملحوظات التى أوردها بشأن اللغة التونسية ونشرها فى مجلة الشرق الحديث الذى كان يصدرها باللغة الايطالية . وقد أسعفه على التقصى ما امتاز به من دقة حاسة السمع وصبره الطويل فى رحلاته المتعددة إلى تلك البلاد .

وقد أولى الجاهلية عناية فائقة وكرس لبحثها وقتاً طويلا . ففى سنة ١٨٩٣ ظهر له وهو بمدفتى بحث مستفيض عن نظام القبائل العربية قبل الإسلام أبدى فيه من الرصانة فى الحكم إلى جنب البحث فى القبائل العربية وتاريخها وأساليب معيشتها وعلاقاتها الاجتماعية ما حدا بالأب لامنس اليسوعى المعترف له بالتفوق فى هذا المضمار إلى ذكر هذا الفتى بعد انقضاء عشرين عاماً على صدور مقاله .

ولهذا المستعرب أبحاث كثيرة لم تنشر؛ ولكن ما كان نصيبه النشر منها يثبت معرفته التامة بلغات جنوبي الجزيرة العربية وهي المعروفة بالحميرية التي تفرعت منها لهجات عديدة منها المعينية والسبئية والحضرمية والقتبانية الخ ، وجميعها تختلف عن العربية الفصحى كل الاختلاف . أما ما اتصل بنا منها فالفضل ببقائه عائد إلى النقوش التي عثر عليها في المغاور والصخور الكائنة على طريق القوافل القديمة. وقد بدأ المستشرقون منذ سنة ١٨٣٤ في قراءة حروفها وحل رموزها غير مبالين بالصعوبات التي تعترض سبيلهم لتعذر الوصول إليها . أما النصوص الحميرية التي نجدها في كتاب الإكليل للهمذاني فليست سوى نصوص مزيفة لفقها المؤلفون كابن وهب ومحمد الكلبي وابن هشام وتقتصر على بعض كلمات عربية إلى جنب كلمات حميرية قليلة اهتدوا إليها مما عثروا عليه من الآثار، وقد تناول نالينو هذه اللهجات البائدة وأثبت معرفته التامة بها في مقال طويل تناول فيه بالنقد والتحليل كتابا أصدره العالم الايطالي السيد كونتي روسيني باللاتينية عنوانه « مجموعة نصوص عربية جنوبية »

وعلاوة على أبحاثه في الكتب كان نالينو يتحف بعض المجلات العربية في مصر والشام بمقالات في اللغة والأدب ، منها مقالة نشرتها له مجلة الهلال سنة ١٩١٧ كانت من الجرأة الأدبية والأهمية العلمية بمكان وعنوانها « كيف نشأت اللغة العربية » انتهى فيها فيها إلى الاستنتاجات التالية :

إن اللغة العربية الفصحى هي بلا شك لغة الشعر الجاهلي المدون في كتب السلف . ومزية هذا الشعر أن ما فيه من أوصاف وتشابيه وأفكار ومعان يدل على أن مبتكريه هم الأعراب أهل الوبر، أخذه عنهم الحضر وقلدوه لغة وأسلوباً . ولما كان من الثابت أن معظم آداب الجاهلية انحصرت في القريض لزمنا القول إن العربية الفصحى كانت لهجة من لهجات هاتيك القبائل التي أخذ عنها الشعر والتي شد إليها الرواة فيما بعد الرحال وتلاهم النحاة الذين دونوا أصول اللغة وقواعدها لكي يأخذوا عنها صحة النطق وتقويم اللسان وتفسير الغريب وشواهد النحو ، وإذا أنعمنا النظر في تاريخ القبائل التي كان لها القدح المعلى في الشعر انتهينا إلى الجزم بأنها كانت القبائل المعدية المنضوية تحت لواء كندة قبل منتصف القرن الخامس . وكانت نهضة الشعر الجاهلي وبلوغه أوج الإجادة في عهد ملوك كندة الذين كان امرؤ القيس آخرهم ، وقد توفي بين ٥٣٠ و٥٤٠ ، وإذن فاللغة الفصحى مردودة إلى إحدى اللهجات النجدية وقد تهذبت في عهد المملكة الكندية ونقلت دون سواها من اللهجات وأصبحت لغة الأدب السائدة وبها نزل القرآن على محمد فأصبح مرجع العرب الديني والسياسي واللغوي .

وفي نهاية هذا المقال يدعي زعيم الكبريين بأن قريشاً كانت أفصح العرب إذ في رأيه أنه لو صح هذا الزعم لأخذ الرواة والنحاة الشعر والنحو عن قريش وأهملوا عرب البادية . ولو كان التنزيل بلغة قريش لاعتمد الشراح أهل مكة في تفسير ما استغلق من غريب القرآن . زد على ذلك أن قريشاً لم ينبغ فيها شاعر مشهور ولا خطيب مذكور، فلا شك إذن في أن ما ذهب إليه الناس من القول بتفضيل لغة قريش لم يكن مصدره سوى حب الرسول واعتبار تكريم قبيلته تكريماً له .

وغريب أن يتفرغ نالينو للكتابة في المجلات والجرائد إبان انصرافه إلى الدروس التحليلية وإلقاء المحاضرات في جامعتي مصر وروما ، وكانت محاضراته في الجامعة الأخيرة خاصة بتاريخ اليمن القديم وجاهلية بلاده مما ساعد كثيراً على فهم الاسلام ونشأته. وما من شك في أنه لو استطاع لنشر هاتيك المحاضرات القيمة وخلفها إرثاً ثميناً .

ومما زاد في مشاغله انكبابه الوقت الطويل على تنقيح مؤلف جاء في ثلاثة مجلدات ضخمة كان أصدرها المستشرق الايطالي ميكالي امارى وتناول فيها تاريخ مسلمي صقلية ، وقد عنى نالينو بضبط الأسماء والتواريخ وذكر المصادر من كتب مطبوعة ومخطوطة بحيث جاء ذلك الكتاب دليلا ساطعاً على سعة اطلاع هذين العالمين المستعربين .

ويقصر باعنا وعلمنا ويضيق بنا الوقت والمجال عن ذكر كل ما ألفه علماء الغرب وعلى الأخص نالينو مما لا عهد لصحافتنا وكتابنا بمعالجته وكله يتعلق بالاسلام. وقد نقب عليه في فقه اللغة وغريب اللغة والشرع الاسلامي والفرق الاسلامية ، قديمة كانت كالخوارج والشيعة والمعتزلة والقدرية ، أو حديثة كالوهابية. وعلى

هذه الصورة من المتانة فى التعبير والدقة فى البحث جاء ما كتبه عن المتصوفة فى الاسلام وأشعار ابن الفارض والرئيس ابن سينا فى الحب الإلهى والفروق التى تفصلها عن متصوفة اليونان المشركين .

— ٤ —

وظل نالينو منذ نشأته معنياً بشؤون الشرق، قديمها وحديثها حتى تنبهت ايطاليا إلى ما للشؤون الشرقية والاسلامية من الأهمية فى ساسة الدولة ، وكان ذلك على أثر خروجها من الحرب العالمية الأولى فأنشأ (اماديو جانيني) فى روما معهد الشرق وعهد إلى نالينو بادارته العلمية . وكان فى جملة مقررات المعهد إنشاء مجلة شهرية بعنوان «الشرق الحديث» تبحث فى الشؤون السياسية والاقتصادية التى تتعلق بالمشرق الاسلامي فقام نالينو بالمهمة التى أسندت إليه خير قيام . وكان فى الوقت نفسه يشرف على المجلة ويتعهدها بقلمه ويودعها من الأبحاث كل طريف مفيد . وعلى كثرة مشاغله لم يكن يهمل مطالعة كل ما يرد عليه من المجلات والجرائد والمنشورات المعربة على اختلافها ويستفيد مما يطالعه أبحاثاً للمجلة التى لا تزال توالى الصدور بعد أن أفل نجم منشئها المتوقد .

ويجمل بنا ذكر المكتبة النفيسة التى أنشأها هذا العالم العامل وأودعها كل ما عثر عليه واستطاع اقتناءه من الآثار الأدبية والعلمية فى البلدان العربية التى زارها وكل ما صدر فى اوروبا من كتب الاستشراق حتى أصبحت أغنى مكتبة خاصة بالمختار من الكتب النادرة . والغريب انه بدأ بجمعها وهو بعد فتى رقيق الحال قليل المال وزادها أضعافا بعد أن أصبح فى يسر وإقبال .

وبلغ من شهرته العالمية أنه انتخب عضواً فى الجمعية الملكية الآسيوية فى لندن والجمعية الألمانية المضارعة لها ، وهو شرف رفيع نادر لم يظفر به سوى فطاحل العلماء . أما فى الشرق فقد عرفت له جمعياتنا العلمية مكانته وضمته إلى سلكها ابتداء بالجمعية الملكية المصرية سنة ١٩٣٢ كما أصبح من الأعضاء العاملين فى مجمعى دمشق وبغداد . وفى سنة ١٩٣٨ أم البلاد السعودية فاستقبل فيها بالاكرام والاجلال وطاف بها من العقبة حتى الطائف تصحبه كريمته الآنسة ماريا غير عابئة بقطع القفار وتجشم الاخطار . وبهذه الرحلة تمت له أمنية طالما راودته وكان اغتباطه عظيما بتنفيذيه بصره وتشنيفه سمعه بما وعاه ذهنه من أوصاف تلك البلاد وما كتبه بشأنها من أبحاث وألقاه من دروس فعاش مع أهلها عيشة البداوة واطلع على عاداتهم وسمع لهجاتهم وإنشادهم الشعر فى سمرهم وهم يصطلون فى خيامهم السود أو متكئون حلقات على بساط من الرمال . وهناك استعاد إلى ذهنه الحوادث الجسام والانقلابات التاريخية التى مثلت فى ماعبر على مسرح تلك الجزيرة المترامية فطوت الأيام الحوادث والرجال وبقى المسرح شاغراً لتحتله فرق جديدة تمثل عليه أدواراً ترمز إلى عصر جديد .

***

وكانت أمنيته الثانية بعد عودته أن يصف تلك البلاد وصف شاهد عيان ويقيم المقابلة بين ما عرفه من ماضيها وما خبره من حاضرها ولكن شاءت الأقدار أن يكون تسليمه عليها وداعاً وأن تكون آخر بقعة أمها ولم يمهله ربها يستمتع بذكرياتها فى خلواته ويدون بشأنها معلوماته فذهب فى سنة ١٩٣٨ مذكوراً بمآثره الغر مأسوفاً عليه من كل من عرف فضله ونهل من ينبوع علمه الفياض ليتلألأ كنجم ساطع فى سماء النبل والفضل وينعم بالخلود .

العصبة الأندلسية — يوسف الخوري

المراجع التى أخذنا عنها :

ميكالانجلو غويدى : كارلو الفونسو نالينو : فى مجلة الأبحاث الشرقية التى تصدرها مدرسة الدروس الشرقية فى كلية رومية . سنة ١٩٣٩

ج . ليفى دلا فيدا : كارلو الفونسو نالينو : مقالة ضافية نشرت فى آخر الجزء السادس من مجموعة تآليف نالينو . رومية ١٩٤٨

كارلو ناللينو : مجموعة تآليفه التى نشرت والتى لم تنشر ٦٠ مجلدات رومية ١٩٣٨ — ١٩٤٨

كارلو نالينو : الزيج الصابئى للبتانى ج ٣ . رومية ١٨٩٩ — ١٩٠٧

كارلو ناللينو . علم الفلك . تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى . رومية سنة ١٩١١

كارلو ناللينو : عدة مقالات متفرقة فى الهلال ومجلة المجمع العلمى العربى فى دمشق .

مطالعات فى العهد القديم

الخطيئة والمعـــرفة

للاستاذ محمود الشرقاوى

فى أمسية من أمسيات هذا الشتاء المنقلب المضطرب القاسى وكان يوماً غائماً لم تظهر له شمس، دخلت إلى خزانة كتبى وأنا قلق النفس أبحث عن شىء ولكنى لاأدرى ماهو، وأشعر فى داخل نفسى بشىء من ذلك الشعور الحزين الغامض الرقيق لم أدر له سبباً ولم أدرك له تعليلا، اللهم إلا أن يكون مشاركة الطبيعة فيما هى به من الظلام والكآبة والقلق، أو هو انسحاب مافى السماء من غيوم إلى مافى النفس من إحساس.

وقفت أمام الخزانة لأختار كتاباً، من غير قصد، أى كتاب، أسرى بالمطالعة فيه عن نفسى وأصرف عنها هذه الكآبة الغامضة الرقيقة.

هذا تفسير الكشاف، نعم، ولكنه يحتاج إلى تدبر وإمعان وتهيء، وليس نشاطى الآن مما يساعد على التدبر والامعان.

هذا ديوان البحترى، نعم، ولكنه شعر، وما أنا بسبيل البحترى وما فيه من صياغة ونصاعة تحتاج إلى نفس ناصعة كشعره لا إلى نفس غائمة تنشاها هذه السحابة من الحزن.

هذا هو الكتاب المقدس بعهديه، القديم والجديد، نعم. لأقرأ فيه شيئاً. ولا بد أن ينسكب شىء مما فيه من الايمان والأطمئنان على مافى نفسى من الجزع والقلق.

• • •

وأخذ الرب الاله آدم، ووضعه فى جنة عدن ليعمل ويحفظها وأوصى الرب الاله آدم قائلا: من جميع شجر الجنة تأكل أكلا، وأما شجرة «معرفة الخير والشر» فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت

وقالت الحيـة الخبيثة للمرأة «أحقاً قال الله لاتأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية، من ثمر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لاتأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا، فقالت الحية للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه «تنفتح أعينكما» وتكونان كالله عارفين الخير والشر»

قد تكون الخطيئة إذن هى الطريق للمعرفة؛ والثمرة المحرمة قد تخرج الأنسان من الجنة إلى محنة الحياة ولكنها تخرجه أيضاً إلى عالم المعرفة والأدراك والتجربة والنور، أو كما قالت الحية تفتح العين وتجعل الأنسان كالله عارفا الخير والشر، ولذلك عندما أخذت المرأة (من الثمرة وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل، انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان) وكانا من قبل أن يأكلا (كلاهما عريانان، آدم وامرأته، وهما لايخجلان) وعند ذلك خاطا (أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر)

كانا عريانين من قبل الخطيئة ولكنهما لايخجلان لأنهما لم يدركا عريهما، فلما أكلا من الشجرة المحرمة عرفا الخير من الشر والحسن من القبيح وأدركا عريهما فاكتسيا.

وهذه ثمرة الخطيئة. المعرفة.

ولذلك قال الرب وهو ينادى آدم فى الجنـة (أين أنت؟ فقال. سمعت صوتك فى الجنة فخشيت، لأنى عريان فاختبأت) فقال له: من أعلمك أنك عريان! هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك ألا تأكل منها!» فقد عرف آدم اذن — كما قال الرب — عريه من خطيئته.

• • •

وكانت هذه الثمرة، أو هذه الخطيئة، سببا فى أن غضب الله على آدم وزوجه وعلى تلك الحية الخبيثة التى أغرتهما بالمعرفة ليخطئا أو جعلت المعرفة سبيلا لمقارفة الخطيئة، فعاقب الله الثلاثة على السواء، وكان عقاب آدم وحواء أن يخرجا من الجنة، ولعن الله الأرض كلها بسبب آدم وجعله (بالتعب يأكل منها كل أيام حياته وشوكا وحسكا تنبت له ويأكل عشب الحقل). وبعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى التراب تعود).

وقد نال آدم وحواء هذا الغضب كله من الله وخرجا من الجنة مطرودين، ولكنهما أدركا «معرفة الخير والشر» وهذه

ألكسيس كاريل

للاستاذ عبد الفتاح الديدى

عقلية من تلك العقليات الخصبة التى أفادتها الخبرة أكثر مما أفادتها المعلومات، وذهن صوفى متطلع إلى معانى الحياة بين المظاهر المعاشية دون توقف عن حدود السطور والقروء. فهو مثال الرجل الذى يحس الانسان عند قراءته بأنه فى حضرة مفكر ابتعد عن التفاصيل والتفت إلى الكليات ونظر فى حقائق الأمور، لا من حيث هى مبحث موقوف على نوع خاص من أنواع الدراسة، وإنما من حيث هى مجال للتأمل والتدبر فى كل حين، وعند كل انسان. فثقافته أكبر من تعليمه، وتربيته أكثر من معرفته، فجاءت كتبه حية ينبض فيها الدم، عميقة تأسر اللب، واضحة وضوح العبقرية المتزنة بعد أن اضطربت فى كمينها عصارة العلم والفلسفة والأدب جميعاً.

ذاك هو الكسيس كاريل مؤلف كتاب الانسان ذلك المجهول ولد فى فرنسا بالقرب من ليون فى سنة ١٨٧٣. وبعد أن نال الدكتوراه ودرجة أخرى فى العلوم سافر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٥ حيث اشترك فى معهد روكفلر للأبحاث الطبية بنيويورك ولم يعد من هنالك إلى فرنسا مرة أخرى إلا بعد أربع وثلاثين سنة أى فى عام ١٩٣٩، واشترك بعد هذا فى أعمال حربية حتى نوفمبر من عام ١٩٤٤ حيث مات تاركاً تراثاً علمياً رائعاً وخليطاً بعض الكتب من غير إتمام. ومن مؤلفاته كتاب عن الصلاة وكتاب بعنوان (الطب الرسمى وطب الزندقة) وقصة كتبها فى سن الثلاثين بعنوان (رحلة مدينة لورد). وهذه القصة يوحى من زولا ومطبوعة فى مجموعة تضم يوميات وتأملات وابتهالات. أما كتابه عن «سير الحياة» فقد كان يزمع أن يجعله

المعرفة نفسها — بنت الخطيئة — قد أوشكت أن ترد إلى آدم وحواء ما فقدا من الحياة الأبدية حتى يخرجهما الله من جنته قبل أن تدلها المعرفة على شجرة هذه الحياة الأبدية الدائمة. فأنه بعد ذلك يقول الرب الأله: (هو ذا الانسان قد صار «كواحد منا» عارفاً الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد) وأخرجه الرب الأله من جنة عدن «ليعمل الأرض التى أخذ منها»

فهذا آدم الذى أخرج من الجنة بالخطيئة، كاد أن يدخل فى زمرة الآلهة بنفس الخطيئة

* * *

ومن الناس من يعيش الآن — على الأرض الملعونة — وهو سعيد ناعم، كأنه فى الجنة، لأنه يعيش على هامش الحياة تلك الحياة النباتية التى لا تنفعل ولا تتأثر ولا تدرك إلا ما يحيط بها أو يمس خاصة شأنها أو طعام يومها. فهى فى نعيم ولكنه بعيد عن «نعيم» المعرفة. ذلك النعيم الذى لا يدرك ولا ينال إلا بالأقتحام وشجاعة القلب والذهن والمغالبة والأقدام

وكذلك كانت حياة الرواد والمخترعين والمفكرين والقادة وكل أولئك الذين أفادت البشرية كلها من حياتهم ومعرفتهم وتفكيرهم وخطاياهم، وقديماً قال الشاعر العربى

ذو العقل يشقى — فى النعيم — بعقله
وأخو الشقاوة — فى الجهالة — ينعم

وكذلك يقول العامة «المجانين فى نعيم..!»

ولحكمة بالغة أراد الله لآدم وحواء أن يقارفا الخطيئة حتى يعرفا — ونسلهما من بعدهما — الخير والشر، وما قيمة الحياة بلا معرفة..؟

وفى كتب العقيدة الاسلامية والتفسير — وخاصة كتاب «المواقف» — مباحث بارعة عن الانسان والملائكة وأيهما أفضل..؟ الملاك الذى لم يقارف معصية لأن الله برأه من الشهوات والنزوات والرغبات وخلقه بفطرته للطاعة؟ أم الأنسان الذى خلقه الله وركب فيه النوازع والرغائب وسلط عليه همزات الشياطين؟

محمود الشرقاوى

على طراز الانسان ذلك المجهول ومكملا له . إذ جاء كتابه الانسان ذلك المجهول فريداً في نمطه ، فذاً في نوعه ، ومشجعا له على أن يتبعه بآخر من نفس الطراز . وقد اشتهر هذا الكتاب في الأوساط الثقافية جميعها : أوربية وشرقية ، لما فيه من تجربة إنسانية عميقة ونظرة علمية ممزجة بروح صوفية جارفة.

وقد حاول كاريل أن يوقف هذا الكتاب بصفحاته الثلاثمائة على دراسة الانسان من نواحيه المختلفة ؛ وكان يؤمن بأنه لا بد من أن نعطى تخطيطا عاما لما تقدمه لنا العلوم المختلفة من المساعدات إذا شئنا أن ندرك حقيقة ذواتنا وأن نقف على ماهية نفوسنا . ومن الضروري في رأيه — علاوة على ذلك — أن نصف في تدقيق شامل وفي تفصيل كامل تلك العمليات الطبيعية والكيميائية والفسيولوجية التي تختفي من وراء ذلك الاتساق الاجمالي في حركاتنا وأفكارنا . وكان مقدراً لهذا العمل أن يكون مستحيلا لولم تسمح لنا أساليب الميثة في العصر الحديث من الملاحظة والتجريب ، ولولم تقدم لنا المعونة من أجل تحقيق هذه الرغبة الهائلة . فبفضل المنشئات العلميه التي تعنى بالنواحي المختلفة من الإنسان استطاع الدكتور كاريل أن يمد التفاته وأن يرعى بنفسه مجالات الحيوية الكثيرة لدى الأفراد .

وليس لكتابه هذا من غرض كما يقول هو نفسه إلا أن يجعل تحت أيدى الناس مجموعة من النتائج العلمية والحقائق الخاصة بالكائن البشري الذي يحيا في هذه الفترة بالذات . فعلى هذا النحو يمكننا أن نلمس جوانب الضعف في مدنيتنا ونحس بما بدأ يظهر عليها من أعراض التهالك والانهيار . فإذا صح أن هناك طائفة معينة تخصها بهذا الكتاب الذي بين أيدينا فأظنها تلك الطائفة التي آثرت الهروب من حياتنا الاجتماعية والإفلات من أسر عاداتنا الحديثة وقيودنا المصطنعة . والكسيس كاريل نفسه واحد من هؤلاء ؛ إذ آثر في آخر أيامه أن يعتزل في جزيرة سانت جيلدا حيث أمضى بقية عمره .

ولما تأمل كاريل حياة المجتمع الحديث أحس بأننا قد شغلتنا المسائل الشكلية عن أمور جوهرية في غاية الأهمية بالنسبة إلى الإنسان في معاشه وتصرفه ووجوده . ولعل حياتنا اليوم قد غدت أكثر صعوبة وتعقيدا وأشد اضطرابا وأدعى للتفكير في أمر موقفنا منها بعد كل هذه التغيرات . وإذا كان للعلم في حد ذاته قيمة ما ، فذلك لأنه يؤثر في كياننا بأجمعه ويجعلنا نرتد إلى أنفسنا ونناقش أفعالنا ونجدد أخلاقنا . أما أن يكون العلم مدعاة للانشغال عن الإنسان بهذه الأشياء العارضة في حياتنا ، وبهذه المظاهر التي تنأى بنا عن الذوق والخير والصحة ، فذلك أكبر دليل على أننا لم نحتط للثورة التي أحدثناها بأيدينا ، ولم نعد العدة من أجل أن نوجد مثالا حيويا يحقق آمال الإنسان وأمانيه قبل أن يرضى مطامعه وشهواته .

ومن هنا حاول كاريل أن يؤكد ظاهرة التكيف وأن يضعها في المرتبة الأولى من مظاهر الحيوية الإنسانية . وذلك طبيعي بالنسبة إلى عقليته التي ترى ضرورة المواءمة بين علوم العصر الحاضر وبين حياة الإنسان في المجتمع . فالعلم الذي لا يفيد في استناد الإنسان إليه عند حل مشاكله المختلفة لا ينفع في شيء ولا يؤدى إلى نتيجة ذات قيمة . وظاهرة التكيف هي الأمل الوحيد الذي يفتح أمام الإنسان منفذا إلى حياة مستقيمة كريمة بإزاء أحداث الحياة ودلائل الحضارة . ثم إن الدكتور كاريل يؤكدها ويبين خطرها وهو يعلم أن الأمر لا يقتصر على الاستفادة من جانبها الفسيولوجي ، وإنما يمتد أكثر فأكثر إلى الناحية الاجتماعية وهي الناحية الجديرة باعتبارنا لما نتصف به من آدمية. فالمفكرون والفلاسفة يعرفون ظاهرة الجسم الطبيعية في تكيفه مع البيئة ومع الحرارة والبرودة ومع المؤثرات الخارجية ؛ ويعلمون أنه قد كان من المستحيل على الأطباء أن يتقدموا قيد أنملة في علوم الجراحة والتضميد لو لم تكن هذه الظاهرة محل عنايتهم واهتمامهم. ولا بد لهم بعد ذلك أن يتمظوا بالتقدم الهائل الذي أحرزه الأطباء نتيجة لالتفاتهم إلى هذه الحقيقة . إذ أنهم يستطيعون في بابهم أن يقيموا علوما في غاية من الخطورة على أساس من بحثهم لظاهرة التكيف الاجتماعي .

فالعمليات الحيوية العقلية تجنح إلى خدمة الفرد ولمعاونته على أداء مهماته . مثال ذلك أن الإنسان يندفع عادة وراء فضوله ورغبته الجنسية ، وطموحه وحبه للمال حتى يجد نفسه في أجواء غير مألوفة لديه أو لعلها تصل إلى درجة المعاداة له . وها هنا يتحقق من ضرورة الغلبة والانتصار على العناصر التي تحيط به ؛

أو أن يكبت الدوافع التي تشب في صدره وتتأجج في خاطره . ومن المستحيل أن يتم لنا العمل الأخير للقضاء على النزعات الباطنة من غير أن نعنى بالتكوين الفردي المستقل للانسان . أما عن العمل الأول ، وأعني به الغلبة والصراع مع العناصر المحيطة والظروف المجتمعة ، فلا شك أن الإنسان يحتاج عند النزول إليه والاشتباك فيه إلى قوة شخصية وطاقة نفسية تعينه على أن يطمح ولا يطمع ، وأن تمتد يده بالحق ، وأن يضرب في صفوف الخير ، وأن يسعى بغير أن يسيء سعيه إلى الآخرين . ليس هذا فحسب وإنما يدخل ضمن عملية التكيف الاجتماعي هرب الإنسان عند اللزوم . فالهرب لابد منه في كثير من الأحيان وخاصة عندما يستحيل النمو الصحيح والتكامل المشروط مع المجتمع الذي نعيش فيه .

فهناك أشخاص لا يستطيعون أبدا أن يتكيفوا مع الجماعة . من بين هؤلاء ضعاف العقول ، ومن بينهم من سلم عقله ولكنه أمضى فترة طويلة بين الأشرار والأوغاد حتى استحال عليه أن يعود من جديد فيتكيف مع الحياة الاجتماعية السليمة . وإن لم يستطع علماء الاجتماع أن يستفيدوا من هذه الظاهرة فأغلب الظن أن علومهم ستكون قليلة النفع بالنسبة إلى المستقبل . ومن هذا كله نرى أن أهم ما في ظاهرة التكيف هو أنها تفتح أبواب الأمل للانسان المكين في تقدمه وارتقائه الذي يحدث على صورة وثبات ونهضات متفاوتة أو حركات طورية مستديمة .

ثم في هذا الكتاب الذي وضعه كاريل تفصيل دقيق لفكرة الزمن . ولأول مرة في تاريخ علم النفس يأتي باحث ليقدم مثل هذه الدراسات القوية العميقة في آن واحد . لقد حاول أن يحدد أنواع الزمن فجاءت أربعة من بينها زمن جديد بالمرة هو الزمن الفسيولوجي . وكما استطاع كاريل أن ينتقل بظاهرة التكيف من مجالها المحدود إلى مجالات الحياة الفسيحة ، حاول ها هنا في كلامه عن الزمن أن يبرز أهمية الزمن الفسيولوجي من الناحية البيئية الخالصة . وهو في أصله عبارة عن الوقت الذي يستغرقه الجرح حتى يلتئم أو الذي يمر على العضو الجسدي إبان تكوينه .

وتكلم بإفاضة عن الزمن النفسي فقال إنه نوع من القياس الشعوري لكمية العواطف والانفعالات التي تتدفق من باطن الوجدان ومن داخلية الفؤاد ساعة تأثره وتجاوبه مع الوقائع الجارية في حياتنا الخاصة أو العامة . وإذا كان يمكننا القول بأن الزمن النفسي يعتمد على شيء سواء فان يكون ذلك الشيء غير الذاكرة الإنسانية . إن الذاكرة هي التي تجعلنا نحس بمرور الزمن وبتواصله على قدر ما تعيننا الأحداث في الخارج أو تصوراتنا الخاصة داخل نفوسنا . والدليل على ذلك أن تكوين شخصيتنا على وجه التعميم قائم على أساس من تذكرنا للتاريخ الفردي واستحضارنا لما جرى لنا في الأيام الماضية .

والملاحظة الثانية التي يسوقها كاريل في تعليقه على الزمن النفسي هي التي يعتمد عليها في تأييد وجه الاختلاف والتباعد بين كل من الزمن الفزيائي والزمن النفساني . فهاهنا يذكر أن الزمن الطبيعي (الفزيائي) الذي يمضي علينا في سن الطفولة والبلوغ لا يزيد على ثمانية عشر عاماً ، بينما تزيد سنوات النضوج والشيخوخة في عمر الفرد على الخمسين أو الستين . فالإنسان يبدأ بفترة نمو قصيرة ثم تعقبها فترة تمام واكتمال طويلة . ومع هذا فان الزمن الفزيائي يفقد كل قيمة هنا تبعا لشعور الإنسان بأن سنوات الطفولة طويلة وبطيئة بينما يحس أن السنوات تكون قصيرة جداً أثناء الشيخوخة . وهذا يثبت مفارقة عجيبة ويبرهن على أن الزمن النفسي محل اختلاف داعماني تقديره والإحساس به وتعداد جزئياته عند الأفراد .

وهنا يجري قلم كاريل بفقرة تعد من أرفع ألوان الكتابة الأدبية . يقول « تبدو لنا أيام طفولتنا كما لو كانت بطيئة جداً . أما أيام نضجنا فتمتاز بسرعتها التي تبعث على الفزع . وقد يكون هذا الشعور ناجما من أننا نضع الزمن الطبيعي بطريقه لا شعورية داخل إطار المدة . ويبدو لنا الزمن الطبيعي مختلفاً من غير شك عن تلك المدة بصورة عكسية . إذ يتراقى الزمن الطبيعي بسرعة واحدة بينما تنقص سرعتنا نحن دائما . ويشبه ذلك نهراً كبيراً يجري في سهل ، ويمشي في ذلك السهل إنسان نشيط محاذياً النهر منذ طلوع النهار . وتبدو له المياه آنئذ كسولة ولكنها تزيد من سرعتها شيئا فشيئا . وعند الظهيرة لا تسمح المياه لذلك الإنسان النشيط بأن يتخطاها . أما إذا اقترب المساء فانها تضاعف من سرعتها ، وغالباً ما يقف الانسان بينما يمضي النهر في طريقه بغير إشفاق . والحق أن النهر لم يغير قط من سرعته ولكن سرعة خطوانا هي التي نقصت . ومن الممكن أن نعزو البطء الظاهر

فى بدء الحياة ، وقصر المدة الختامية إلى أن السنة كما نعلم تمثل لدى الطفل والشيخ نسبا مختلفة من حياتيهما الماضيتين ومع ذلك فان الأكثر احتمالا هو أننا ندرك إدراكا غامضاً مشى زماننا الداخلى الذى يبطىء إلى غير حد والذى يتمثل فى عملياتنا الفسيولوجية . وكل منا هو الانسان الذى يجرى على طول النهر ويعجب حينما يشتد تزايد سرعة مرور المياه . »

وأخطر وأهم من هذا كله ما يقوله الكسس كاريل عن ظاهرة التصوف . والذى يمتاز به هذا الجانب النظرى فى عرضه هو أنه امتزج بروحه وصادف تجاوبا مع نفسه ولاقى ميلا واندفاعا هائلين من داخلية ذاته يؤيدان تفكيره وهواه . وحماس كاريل النظرى فى العرض الفلسفى لهذه الظاهرة لم يكن مجرداً من التجربة الشخصية ولم يكن محروماً من التأييد الحيوى . فكاريل متصوف قبل أن يكون فى عداد العلماء ، وجرت عليه نزعته تلك متاعب كثيرة ، إذا اعتبره رجال الكنيسة خارجا على أحكام الدين . وبعض أقواله تذكرنا بالوثنيين الأقدمين . قال فى يومية بتاريخ ٣١ يولية ١٩٤١ « يستطيع الدين بقدرة فائقة أن يعين الانسان على ملاحظة قواعد الحياة بناء على ما يضيفه العنصر العاطفى إلى العنصر العقلى . إن الناس مهيئون على نحو يجعلهم محتاجين إلى التجاوب مع كائن حى أكثر من تجاوبهم مع فكرة ما . وكثير من الناس قد ضحى بحياته من أجل وطنه ، ولكن التضحية تكون أكثر إمتاعا إذا كان موتهم من أجل نابليون . إن حب الرجل أقوى من حب الفكرة . إن الراهبة التى تقوم منهوكة فى الرابعة صباحا كيما تبدأ عملا لا ينتهى أبداً ، إنما تبذل هذا المجهود المخيف حبا فى المسيح وحبا للمساكين والصغار ، وليس ذلك من الشعور بالغيرية أو من الرغبة فى شغل عمل بين الناس . ولذلك فان الدين يبث فى السلوك عنصراً عاطفياً . فهذا الكلام على صحته وعمقه لا يلائم جماعة المتدينين الذين يريدون التجريد ويزعمون الخلاص تجربة الروح بين أجراس الكنيسة وإنشاد الآباء .

ومن ابتهالاته التى نشرت فى نهاية قصة مدينة لورد قوله : إلهى : أشكرك لأنك حفظت لى الحياة أمدا أطول من الأمد الذى خصصت به زملائى الأقدمين . قبل أن تطوى الكتاب هبنى من لدنك فضلا يربى ما خفى على حتى الآن . لقد كانت حياتى كالصحراء بسبب حرمانى من معرفتك . فلتساعدنى على الرغم من الخريف بأن تزهر الصحراء . وستكون كل دقيقة من الأيام التى تبقت لى موقوفة لجلالك . ولا أطمع فى شىء من أجل نفسى سوى رحماك . وسأبقى بين يديك كالدخان الذى تحمله الرياح . فاعطنى النور حتى أقوى على إعانة أولئك الذين أحبهم . ومن كلامه أيضا فى هذا الباب : إلهى . خذ بزمامى بعد أن تهت فى الظلام . وسأفضل كل ما توحى على إرادتك بفعله . ينبغى أن أقترب من جلالك يا إلهى بكل تقاء وتضرع . فكيف أصلح الشر الذى تسببت فيه للاخرين وآتى اليوم خيرا كنت قد قصرت فى فعله ؟

ومن ابتهاله ليلة عيد الميلاد : أى إلهى . كم آسف لأننى لم استطع أن أفهم شيئا فى الحياة ! وكم آسف لأننى قد حاولت أن أفهم أشياء من العبث أن نحاول فهمها . فالحياة لا تحتوى على الفهم وإنما على الحب ومساعدة الغير والصلاة والقيام بالأفعال . فليكن أجلى متأخرا يا إلهى ، ولتأمر بأن تظل الصفحة الأخيرة من الكتاب غير مكتوبة حتى يمكن أن يضاف فصل آخر إلى هذا الكتاب الفاسد . تكلم فعبدك الحقير منصت لك . إنه يهبك مابقى له ، ويضحى من أجلك بحياته كما لو كانت صلاة . إنه يطلب إليك أن تهديه سواء السبيل . . سبيل البسطاء والمحبين والمصلين فاغفر له كل الأخطاء التى جناها فى حياته . وأعط النور من كان جاهلا بالمرة . فكل لحظة من الزمن تسمح له بأن يحياها ستمر لتحقيق مرادك فى السبيل الذى تختاره أنت من أجله . أى إلهى . فى هذا اليوم الذى يعيد ذكرى ميلاد ولدك ، أجعل منك النهاية الكلية لذاتى وأرسم عليك حدودى آسفا لأننى قد مررت خلال الحياة كالأعمى . »

فالى هؤلاء الذين يؤمنون بالباطن من أهل التصوف أقدم هذه الشخصية التى آمنت بالروح وهى فى أسفل مباحث المادة ، وتشربت بالنزعة الصوفية وهى فى غمار العلم الخالص ، واستطاعت أن تنفذ إلى السماء بين ضوضاء المدنية المترفة وجلبة الحياة الصارخة وناموس الطبيعة المبسوط .

عبد الفتاح الديدى

الشعر المصرى فى مائة عام

للاستاذ محمد سيد كيلانى

من ١٨٢٥ — ١٨٨٠

الساعاتى

وقال :

وجه البسيطة ضاق عن جيش به رمت المدى فركبت هول الأبحر

وفيه مبالغة كاذبة . وفضلا عن ذلك فإنه عظم من شأن العدو وأسبغ عليه من مظاهر القوة والمنعة ما يجعل الممدوح على تجهيز جيش كثيف ضاق به البر لياق به هذا الخصم العنيد الجبار ولو كان الخصم ضعيفا هينا لما احتاج الممدوح إلى هذا الجحفل الجرار . .

ومنها :

سرتم وموج البحر يلطم وجهه أسفا على الأعداء كالمتحسر
والسحب ترسل أدمعا من حزنها والرعد يندب فى قبائل حمير
والجو مسود الجوانب عابس والبرق يضحك منه كالمستبشر

وفى هذه الأبيات صور الطبيعة عابسة حزينة باكية على ما سيلحق الأعداء من الخطوب . وهذا لا يحدث إلا إذا كان العدو عظيما . فالطبيعة لا تبكى إلا على عظماء الناس .

ولا شك فى أن الشاعر لم يكن موفقا حينما حشر هذه الأبيات فى هذه القصيدة . فمن المستقبح أن يخاطب الممدوح بمثل هذا .

وقال :

والجاريات تأزرت بقلوعها والريح قد لعبت بفضل المئزر
رقصت على نقر النسيم بدفها وتمايلت بالتيه كالمستكبر

شبه السفن بالنساء وقد تحجبت بالقلوع . وبقى من كل قلع جزء أضحى لعبة فى يد الرياح تحركه كيف شاءت . وهذه السفن ترقص حينما ينقر النسيم على دفها . وتميل تيها وكبرا . ونسى الشاعر أن الرقص والتمايل مما لا يستحب فى السفن . لأن السفينة لا ترقص إلا إذا تعرضت للاخطار وحاقت بها الزوابع والعواصف . حينئذ لا تقوى على السير ولا تستطيع أن تشق طريقها فتعلو وتنخفض بفعل الأمواج . وهذا هو الرقص الذى يريده الشاعر . ولا ريب فى أن التوفيق قد أخطأه . والسفينة لا تميل تيها وكبرا ، إنما تميل ضعفا وعجزا ، وتكون عرضة للغرق بمن فيها .

ونسى الشاعر الجنود الذين فى هذه السفن . ولو أنه خلع من بأس هؤلاء العساكر وقوتهم صورة للسفن فيها روعة وجبروت وعزة لكان ذلك أنسب للمقام ، ولا سيما أن الممدوح ذهب للقتال والنضال . فتصوير السفن بالنساء المتحجبات لا يتلاءم مع الجو الحماسى الذى ينبغى أن يخلق فى هذه الحال . على أن الساعاتى قد أجاد وصف هذه السفن فى قصيدة أخرى حيث يقول :

وشقت لهم صدر العباب سفائن بدت كجبال تحتها البحر أزبدا
رمتهم بأمثال الصواعق أضرمت فكاد بها الدأماء أن يتوقدا

فى هذين البيتين ترى صورة مرعبة مخيفة . وهى من غير شك مناسبة لمقام الحرب . وللساعاتى أبيات فى وصف بعض السفن البخارية التى كان يملكها سعيد باشا ، ومنها :

وقلاعها مثل الفلاع شواهق تحت البنود ومشيها خيلاء

وقد أتى فى هذه الأبيات بما يتفق مع الطابع العسكرى الذى اتسمت به الرحلة السعيدية إلى الأقطار الحجازية .

وقال :

طارت بنا نحو الحديدة سرعة مثل السوابق فى المجاج الأكدر
حملت لها جيشا منذ انتبذت به غربيها وضعت أسود العسكر
من كل مولود لديها لم يزل فى النقع يلعب بالحسام الأبتر

بعد أن شبه السفن بالنساء ترقص وتميل استطرد فصورها حينما طارت نحو الحديدة بالخيول العوابس الجبارة .

وفى هذا تناقض بين صورة النساء المتحجبات وبين الخيول العوابس . وفى البيت الثانى نظر الشاعر إلى قصة مريم . فشبه السفن بالنساء الحوامل . فلما وضعت جاءت مواليدها أسوداء . وصورة الحمل والوضع من الصور المضيفة . وخير من هذا قوله :

رمتهم بأمثال الصواعق أضرمت فكاد بها الدأماء أن يتوقدا

وقال :

ولدوا على مهد العلا وقد اغتذوا بدم المدى وتكحلوا بالعثير

ففى قوله « ولدوا على مهد العلا » معنى جيد . أما بقية البيت فتوحى بصورة كريهة . وأخلق بمن يتكحل بالعثير أن يصاب بالعمى

وقال :

رفعوا الخيام على النجوم وأوقدوا فى الأرض نارا بالقنا المتكسر

وقد أفرم السامانى بهذا المعنى فجاء به فى قصائد كثيرة . وهو من الغلو الذى لا طائل وراءه . وقال :

ولقد أقاموا بالأسنة سوقها فى يوم حرب بالسيوف مسعر

فقضت ببيع المعتدين سيوفهم للنسر لما غاب عنها المشترى

ومعنى البيت الأول مأخوذ من قول الشاعر

أقمنا بالذوابل سوق حرب وصيرنا النفوس لها متاعا

والبيت الثانى جميل المعنى غير أنه أخطأ فى التعبير عما يريد . يريد أن يقول إن الجنود لم يجدوا من يشترى منهم المعتدين فقتلوهم وتركوهم نهبا للنسور . فذكر أن جيش الممدوح لما عدم مشتريا باع الأعداء للنسر . وفى هذه الحال يكون النسر مشتريا فلا محل لقوله « غاب عنها » المشترى . ولو قال :

فقضت بمنح المعتدين سيوفهم للنسر لما غاب عنها المشترى

لكان موفقا . وقال :

وتواثبوا نحو الحصون فزلزلت والقوم بين مجندل ومعفر

حتى إذا اقتلعوا القلاع وأسبلوا ذيل العفاف رأيت كل مشمر

والمعنى فى البيت الأول جيد . غير أن الصورة التى فى « معفر » لا تذكر بجانب الصورة التى فى « مجندل » أما البيت الثانى ففى منتهى الضعف . وقال :

اسد إذا نزعوا الدروع لرغبة فى حتفهم لبسوا دروع تصبر

قسوم عصوا إلا لأمر أميرهم ملك بفعل خطيئة لم يأمر

والمعنى فى البيتين تافه . وتكرار « أمر » و « أمير » و « يأمر » جعل البيت الثانى ثقيلا على الأسماع .

وقال :

فضحت مناقبه الملوك وأظهرت تقصير كسرى عن علاه وقيصر

وهذا من لغو الكلام الذى دار على ألسنة الشعراء فى ذلك الدور . ومنها :

فتح الممالك لا لكثرة رغبة فيها ولكن رغبة فى المفخر

والمعنى هنا تافه جدا . وفضلا عن ذلك فأين هى الممالك التى فتحها أبن عون ؟ وقال :

ولقد نحاها والبنود خوافق والرعب فى قلب الحسين وحيدر

والحسين وحيدر كانا من أمراء اليمن فى ذلك الوقت . ولكن ذكرهما على هذه الصورة لا يتفق فى قصيدة يمدح بها أبن عون الذى يدعوه الشاعر بابن بنت الرسول . فلهذين الاسمين من الإيحاء مالا يخفى .

(يتبع)

محمد سعيد كيلانى

ادارة البلديات العامة

تموين

تقبل العطاءات ببلدية ملوى لغاية ظهر ٩ مارس ١٩٥٠ عن عملية دهان أعمدة الشبكة الكهربائية وتطلب الشروط من بلدية ملوى نظير مائتى مليم بخلاف أجرة البريد .

٤١٧٤

(نشر بهذا الاعلان بالعدد الماضى (٨٦٧) شهر ٩ مارس سنة ١٩٥٠ والصواب ظهر ٩ مارس سنة ١٩٥٠

ادارة البلديات العامة

حدائق

تقبل العطاءات ببلدية بور سعيد لغاية ظهر ٩ مارس ١٩٥٠ عن توريد الفى قنطار برسيم وتطلب الشروط من بلدية بور سعيد نظير مائة مليم بخلاف أجرة البريد .

٤١٩٥

رسالة الشعر

قفر وسراب

للاستاذ إبراهيم الوائلي

ضيعت فى دنيا الظلام شبابى ... وطفقت ألمحه وراء ضباب
حيران يستهدى الطريق فلا يرى ... فى موكب الظلماء غير يباب
ومتيهة جرداء إلا غابة ... نبتت على الاشلاء والأسلاب
تعوى الذئاب حيالها مسعورة ... وعلى الدماء تظل أفظع ناب
والريح تعصف صرصرا مجنونه ... كعزيف جن أو هدير عباب
ضيعته مابين تلك وهذه ... فمضى وما أدركت فيه طلابى
دنيا وما كادت ترافق موكبى ... حتى طواها اليأس طى كتاب
وتناثرت كالروض ريع بعاصف ... اوكالمنادل فوجئت بعقاب
حسب الحوادث مايؤجج فى الحشا ... نارا وما يطغى على الأعصاب
أطوى الحياة ومثل أمسى ذاهب ... بومى ، وأمسى أحمر الجلباب
صديان لكنى أعب عصارة ... هى فى فمى نار وفى أهدابى
أين الكروم الوارفات تمدنى ... بألذ ماتهدى يد الأعناب ؟
أو كلما قربت كأسى من فمى ... طفحت شواظا وارتمت بلهابى!
أورحت أستجلى السماء بنظرة ... لاثت عليها السحب فضل نقاب
ياساسرين وللطلى اشراقة ... شتان بين شرابكم وشرابى
ان شاقكم رشف الكئوس فانى ... بالهم مايغنى عن الاكواب
أو بات يطربكم صدى أنشودة ... مرنانة فلقد كفانى مابى
ذوبت قلبى فى حنايا أضلعى ... وصبغت قيثارى به وربابى
وبعثت أنغامى نشيدا مكملا ... صب الظماة عليه سوط عذاب

***

ومشرد فى البيد ضل طريقه ... مابين اودية وبين شعاب
يطوى الظلام وللرياح مناحة ... ضربت على الآفاق ألف حجاب
الشوك ملء طريقه فاذا مشى ... أدماه وخز أسنة وحراب
اوراح ينفذ الكهوف توثبت ... ذؤبانها مسنونة الأنياب
ويلاه كم أصدى ودون تعلتى ... قفر وماق القفر غير سراب ؟
لى مثل غيرى فى الحياة رغائب ... أكذا تموت كما أموت رغابى؟
وبنفسى الظمأى نزوع مؤمل ... يأبى الحياة تموج بالأوصاب
ماذا جنيت من السنين تمر بى ... كخفوق طيف أو كلمح شهاب؟
أفنيتها لمثيثة موروثة ... عن سالف الأيام والأحقاب
وخسرتها وهى الشباب فلم أفد ... منها سوى أنى خسرت شبابى
ودفنتها بين الصخور وأبت من ... تأريخها القبور شر مآب :

***

رحماك يادنيا وحسبك مارأى ... فلقد أطلت مع الزمان حسابى
مالى وللشكوى وأعظم محنة ... شكوى الغريق لمزبد صخاب ؟
ولمن أحرق باللهيب جوانحى ... وأزم فى الوادى المخيف ركابى
أللمستبد لايمل سياسة ... جبلت على التنكيل والارهاب؟
أم للسياط على المتون خضيبة ... بدماء من نكبوا على الأعقاب؟
أم للهيا كل أستجير بظلها ... فاذا برمت بها قبا لأنصاب ؟
أم للخشارة لم يكلل مجدهم ... بسوى النعوت السود والألقاب؟
يستمرئون العيش غير مكدر ... من جهد كل ممزق الجلباب !
ويشيدون بيوتهم معروشة ... بأكف من ركبوا على الاعتاب

***

رحماك يادنيا وشر بليـة ... جيل يظل مشرد الألباب !
ويتيه فى بيداء موحشة الرؤى ... والنجم مكدود الملامح كابى
لالا وخالف الليل فجر فاغفرى ... لى هذه الشكوى وسرعتابى
واستقبلى العهد القريب فربما ... تحيى الغيوم نضارة الأعشاب

ابراهيم الوائلى

الأدب والفن في الأسبوع

للاستاذ عباس خضر

أنفاس محترقة :

لست أدري لم لا يلمع الآن اسم الشاعر محمود أبو الوفا ، ولم لا ينال حقه من التقدير اللائق به ، حتى كاد ينساه من عرفه من أهل الجيل ، وحتى كاد يجهله الشادون من الجيل الجديد ، وهو الذي قال فيه أمير الشعراء منذ ثمانية عشر عاما :

البلبل الفرد الذي هز الربا ... وشجا الغصون وحرك الأوراقا
سباق غايات البيان جرى بلا ... ساق فكيف إذا استرد الساقا

وهو نفسه الذي قال ما قال ولا يزال يقول من الشعر ما يقوم حجة على أن الشعر ما زال حيا على رغم قائليه من قائليه . .

لقد سمدت بديوانه الجديد « أنفاس محترقة » وقضيت في روضه أوقاتاً طيبة ، ومما قرأت فيه رثاؤه لنفسه ، إذ يقول :

في ذمة الله نفس ذات آمال ... وفي سبيل الملا هذا الدم الغالي
بذلته لم أذق في العمر واحدة ... من الهناء ولا من راحة البال
كأنني فكرة في غير بيئتها ... بدت فلم تلق فيها أي إقبال
أو أنني جئت هذا الكون عن غلط ... فضاق بي رحبه ، المأهول والخالي

لست أدري لم تحترق هذه الأنفاس ، ولم يضيق بصاحبها الرحب ، ولم لا يأخذ هذا الشاعر مكانه من قمة الشعر العربي في هذا العصر ؟

ولكنني أدري . . إنه رجل فقير أبى يضع نفسه حيث تحلق شاعريته ، يمشي على عكازة ويوضع الصغر في طريقه ، كما قال يخاطب فكتور هوجو :

يا صاحب البؤساء جاءك شاعر ... يشكو من الزمن اللئيم الماحق
لم يكفه أني على عكازة ... أمشي فحط الصغر في طرقاتي

لو كان محمود أبو الوفا من ذوي النفوذ أو المال في هذا البلد ، أو حتى مدير إدارة في أية وزارة ، لكان أمير الشعراء . .

والحق أنني قبل ظهور هذا الديوان لم أكن قرأت كثيراً لأبي الوفا ، وإن كان القليل الذي قرأته له من قبل قد هزني ، ولعل ذلك - أي قلة القراءة - يرجع إلى انزواء الشاعر في العشرين سنة الأخيرة أو إقلاله من النشر ، ويبدو لي كأنه منطوياً على نفسه لما لاقاه من أخلاق الناس وعنت الأيام . وهو يعبر عن مكافحته في الحياة ، ويصور حياة الكفاح الشعوري التي عاشها ، أقوى تعبير وأصدق تصوير كما رأيت في الأبيات المتقدمة التي رثى بها نفسه وبعدها يقول :

أبي وفي النار مثوى كل والدة ... ووالد أنجبا تأبوس أمثالي
خلفتني فوضعت الحبل في عنق ... تشده كف دهر جد ختال
ما ضرك لو من غير صاحبة ... قضيت عمرك شأن الزاهد السالي

وهو يقول في قصيدة « قلب الفنان »

أمشي وقلبي على كفي أقول ألا ... من راغب في فؤاد صادق حاني
يحب حتى كأن الأرض ليس بها ... إلا زنابق من آس ويسوسان
وليس في الأرض من بغض ولا إحن ... وليس في الأرض ظلم وطغيان
وليس من فوقها إلا سواسية ... من الصحاب ومن أخدان أخدان
فلا وربك هذا القلب ما التفتت ... عين إليه فيا للبائس العاني

وفي هذه الأبيات نرى نزعته الإنسانية الصافية ، فهو على رغم ما يكابده من الحرمان والنكران يحب ، متخيلا أن الأرض كلها روض جميل ، وأن الناس يعيشون عليها إخوانا متحابين لا يبغي بعضهم على بعض ، وهو يحب ولو أن عينا لا تلتفت إلى قلبه البائس الحاني

ومن النزاع بين نفسه المتفتحة للحياة وبين الحياة العابسة له قوله

أحب أضحك للدنيا فيمنعني ... أن عاقبتني على بعض ابتساماتي
هاج الجواد فمضته شكيمته ... شلت أنامل صناع الشكيمات

وهو يبتكر البكاء فيقول في آخر قصيدة « وقفة الوداع »

تعلم يا هزار الروض مني ... أنا لحن النواح ولا فخارا
غيري من يقلد حين يبكي ... ولكني أنا الباكي ابتكارا

ولا تستطيع ضرورات الحياة التي يجاهد من أجلها هذا الشاعر أن تحول بينه وبين التغريد والتغني بالجمال ، يقول في قصيدة « جمال مصر »

جمالك يا بنت مصر كمصر
يجمع كل فنون الجمال
في مصر حلى النسيم اعتدال
وفيك يحلى القوام اعتدال
وفيك من الشمس حسن الصقال
وبعد المنال وبذل النوال
وفيك السهول وفيك الربا
وعنف الشمول ولطف الشمال
تباركت يا نيل هذا جناك
وهذى المخايل من ذى الخلال

بل حتى فيما يعبر به عن آلامه تغلب عليه روح التطلع إلى الحب والخير والجمال كما رأيت في أبياته السابقة . وهذا وذاك ومجرد قوله الشعر ، يدل على أصالة هذه الشاعرية وقوة بذرها وعمق جذورها ، فهي كنبتة الصحراء تثبت قوية رغم الجفاف وحرمان التعهد ، ثم تعيش رغم ما يصطلح عليها من الأنواء .

وقد أكسبه عراك الحياة والاحتكاك بالقساة من الناس الذين لا يصدرون إلا عن الأهواء والأغراض - أكسبه ذلك نفوذ بصيرة إلى دخائل النفوس ، فتغلغل إليها بأداته الشاعرة ، يقول تحت عنوان « جاه » :

لا تلمه إن لم يمنك بجاه
هو قد باع نفسه واقتناه
فلو أن باعه دون ربح
أو بشيء أقل مما اشتراه
وكم هو ظريف في قوله :
أخي قل لي ولا تخجل
بماذا قد رقيت ؟
وما أنت بذي جاه
وعمرك ما تزوجت !

أما بعد فما مكان هذا الشاعر بين شعراء هذا العصر ، وما هي مدرسته ، وما هو مذهبه ؟ أسئلة يرددها النقاد ويلحون بها على الشعراء ، ويطيلون النظر فيما وراءها . ولكن أبا الوفا لا يلتفت إلى شيء من ذلك ، فهو يدع النقاد ، عليه أن يقول وعليهم أن يسلكوا قوله فيما « يذهبون » من المذاهب ، كما كان الشعراء يقولون للنحويين : إنا نقول وعليكم أن تعربوا . وكأني بشاعرنا لا يعتد إلا بأمرين هما قوام الشعر فيما أرى :

الأول خصب الشعور وصدقه ، والثاني اكتمال الأداة . وقد اجتمعا له فأنتجا ما نحسه في شعره من النبض والجمال ، وحسبه أن صور حياته تصويرا يطل منه الفكر اللماح وتنبعث منه الأنغام المطربة .

إن ديوان « أنفاس محترقة » يعيد إلى الشعر اعتباره بعد أن

كشكول الأسبوع

□ احتفل يوم السبت الماضي في عيد الميلاد الملكي السعيد بتوزيع جوائز فاروق للبحوث العلمية في جامعة فاروق الأول بالاسكندرية ، وقد استحق جائزة العلوم الاجتماعية كتاب « التمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » للمغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ، واستحق جائزة علم الحيوان الدكتور كامل منصور الأستاذ في كلية العلوم ، واستحق جائزة علم النبات الأستاذ حسين سيد الأستاذ المساعد بكلية العلوم ، واستحق جائزة الجيولوجيا المصرية الأستاذ محمود ابراهيم عطية مدير المساحة الجيولوجية .

□ ألقى معالي الدكتور طه حسين بك كلمة في الاحتفال بتوزيع جوائز فاروق ، لخص فيها بحث الشيخ مصطفى عبد الرازق في الفلسفة الاسلامية ، بأنه خالف الباحثين شرقيين ومستشرقين الذين كانوا يردون الفلسفة الإسلامية إلى اليونانية ، أما هو فقد التمسها عند المسلمين أنفسهم إذ تتبع العقل الإسلامي من منشئه حتى ترجمت له آثار اليونان فالتقت الفلسفتان وأثرت كل منهما في الأخرى .

□ استمع مؤتمر مجمع اللغة إلى بحث للشيخ ابراهيم حروش في موضوع رسم المصحف واختلاف وجهات النظر في تغييره ، فرأى المؤتمر أن لا ضرورة في اتخاذ قرار في هذا الشأن .

□ تنعقد لجنة الأدب بالمجمع في هذا الأسبوع للبت في المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٩ — ٥٠ ، وينتظر أن تعلن نتيجة هذه المسابقة في خلال شهر مارس القادم . والمسابقة تشتمل على البحوث الأدبية والقصة ، وكان الشعر قد استبعد منها .

□ لا يزال الأستاذ سيد قطب في بعثته العلمية بأمريكا ، وقد كتب في مجلة « fulcrum » التي تصدر في مدينة جرين بكلورادو مقالا بعنوان (العالم ولد عاق) بنى فكرته على الأسطورة المصرية القديمة التي تتضمن أن التاريخ كان في جولته التي يقوم بها لتتبع الأحداث وتسجيلها ، وقد جرى على أن يسأل الآلهة عما يغض عليه ، فشاهد امرأة تعلم طفلا ، فسأل الإله عن ذلك ، فأجابه بأن المرأة هي مصر وأن الطفل هو العالم ، وترمز الأسطورة إلى أن مصر هي أم الحضارات . وقال الأستاذ سيد : إن العالم بعد أن كبر عق أمه ومعلمته مصر ، فأمريكا مثلا خذلتها في قضاياها السياسية ووقفت مع أعدائها ضد الحق الذي هو في جانب مصر

□ صدر أخيراً ديوان (جنى الأيام) للأستاذ عبد المجيد مصطفى خليل . وهو حافل بقصائد ممتعة في الأغراض المختلفة

انصرف كثير من الناس عن قراءته لكثرة هذر الشاعرين ، وأنا زعيم بأن هؤلاء المنصرفين ، إذا عرض لهم هذا الديوان ، لن يستطيعوا عنه منصرفا .

هل المحدثين في الوضع اللغوي

عرض على مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية في جلسته الأخيرة ، المقترحات التي انتهى إليها الأستاذ أحمد حسن الزيات في محاضرته التي كان ألقاها في أول انعقاد المؤتمر عن « الوضع اللغوي وحق المحدثين فيه » وقد أبيت من قبل بأتم ما دار من المناقشة بين أعضاء المؤتمر على أثر إلقائها . وقد استؤنفت المناقشة في هذه الجلسة الأخيرة ، فبدأها الأستاذ الزيات بالرد على ما كان قد أبداه بعض الأعضاء من الملاحظات ، بين أن قرارات المجمع السابقة تتناول المولد والقياس ، فيبقى من المقترحات الأربعة اثنان : فتح باب الوضع للمحدثين ، وإطلاق السماع من قيود الزمان والمكان ، ثم قال : يخشى صديق الدكتور أحمد أمين بك أن يكون في فتح باب الوضع على مصراعيه مقتحم للفوضى في اللغة فيكثر الترادف بتعدد الوضع ، وقد احتطت أنا لذلك فجعلت الكلمة العليا للمجمع في إقرار الوضع ، إذ قلت : فأيما كلمة توضع لا تدخل في متن اللغة قبل أن يسمها بميسمه ويدخلها في معجمه وإذا انتفت الفوضى بقي الحق مطلقاً لكل متكلم يريد أن يعبر عن ذات أو معنى لم يوضع له لفظ من قبل . وقد توقعت من اختلاف الرأي في مدى هذا الحق ، ومن تزمت قرار المجمع في استعمال المولد ، أن لجنة المعجم الوسيط ستتغلل ما وضعه المحدثون وما عربوه ، فلما قرأت حرف الألف من هذا المعجم تحققت ما توقعته ، فإن هذا الحرف قد خلا أو كاد يخلو من الأوضاع التي استحدثتها الحضارة واقتضتها الصناعة والزراعة . وأتى الأستاذ بأمثلة كثيرة لذلك ، منها أنه ذكر في مادة أبر : إبرة الخياطة ولم تذكر إبرة الحياكة ولا إبرة الحقن ولا إبرة البندقية ، وذكرت الأسطوانة للسارية المبنية ولم تذكر الاسطوانة التي يسجل عليها الصوت ، وذكرت الآنسة بمعناها القديم ولم تذكر بمعناها الجديد وهي الفتاة البكر ، وفي مادة أنف لم تذكر محكمة الاستئناف ، إلى أن قال : وهناك غير ذلك كثير من ألفاظ الصناع والزراع أغفلها المعجم وفي يقيني أن المعجم الوسيط وهو أكثر معاجم المجمع دورانا بين الناس لا يغني من اللغة شيئا إذا أنفض وأسه هو أيضا للأوضاع الجديدة .

ثم رد الأستاذ الزيات على ملاحظات لمعالي الأستاذ الشيبي ، ومن هذا الرد قوله ـ فهم معالي الأستاذ من الأمر الرابع وهو إطلاق السماع من قيود الزمان والمكان أني أقصد المسموع من العرب وقال إن علماء اللغة الأقدمين قد وضعوا قواعد للتعريب ولم يطلقوه إطلاقاً ، والذي قصدته من إطلاق السماع ألا يظل مقصوراً على ما سمع من العرب الذين جعلوا لهم حق الوضع والتعريب وإنما يجب يقبل من المحدثين أيضا ، فكما قبلوا من المتقدمين أن يقولوا أيفع الكلام فهو يافع والقياس موفع ، وغلام أموى بالفتح والقياس الضم ، نقبل من كذلك من المتأخرين أن يقولوا مطار المناطة وكان القياس أن يقولوا مطير ، وأن يقولوا متحف الحضارة وكان القياس أن يقولوا متحف بالضم ، وأن يقولوا مقهى بالفتح بالفتح وكان القياس أن يقولوا مقهى بالضم . فانا لنكلف الناس شططا إذا أردناهم على أن يعودوا فيقولوا مطير ومتحف ومقهى .

وقد دارت المناقشة بعد هذا البيان ، فقال الأستاذ أحمد العوامري بك ـ فهمت من كلام الأستاذ الزيات أنه يوصي بأن نأخذ من الصناع وأصحاب الحرف الأسماء التي يطلقونها على آلاتهم وأدواتهم دون أن نناقشها ونلتمس وجه الصواب فيها فمندهم أسماء يطلقونها على أجزاء السيارة منها ما يمكن أن يرد إلى ألفاظ عربية ، ومنها مالا يمكن أن يرد ، فأما ما يمكن توجيهه فلا أخالف الأستاذ في قبوله ، وأما ما خالف قياس العربية فلا يمكن أن نقبله ونثبته في معاجمنا ، وعندنا مثلا كلمة مطار فالعامة وجمهور المثقفين يستعملونها وقد بحثتها ووجدت لها وجها في العربية ، ولذا لا أمانع في استعمالها بدلا من كلمة مطير التي لم تجر على الألسنة وعندنا كلمة متحف بضم الميم ، وقد شاع على الألسن نطقها بالفتح وهو خطأ ، فهل نعترف بهذا الخطأ وندخله في معاجمنا ؟

قال الأستاذ فريد أبو حديد بك ـ لماذا لا نقول متحف بفتح الميم ؟ أليس في العربية « محجر » اسم للمكان الذي تكثر فيه الحجارة ؟ ولنا أن نقيس من الجامد كما نقيس من المشتق فنسمي المكان الذي يضم تحفاً كثيرة متحفاً بفتح الميم .

وقال الأستاذ الزيات ـ بعض الكلمات التي ليس لها أصل عربي معروف مثل (الرابوب) وهي الفأرة الكبيرة التي يستعملها النجار ومثل هذه الكلمات يجب أن تدخل المعجم .

وقد تفرعت المناقشة إلى نقط أخرى ، ثم وافق المؤتمر على إحالة مقترحات الأستاذ الزيات إلى مجلس المجمع لنظرها فيه في متسع من الوقت.

الأداء النفسي في القصة المصرية القصيرة:

منذ أسابيع ، وأنا أرقب من منظار النقد محاولة جديدة في بناء القصة المصرية القصيرة ، وكانت نفسي وأنا أرقب هذه المحاولة ، موزعة بين الإعجاب الخالص والإشفاق البالغ . أما الإعجاب فربما أنني كنت — منذ أمد بعيد — أتطلع إلى ذلك اليوم الذي أعثر فيه على « الأداء النفسي » وقد غزا ميدان القصة ، بعد أن عثرت عليه وقد غزا ميدان الشعر .

وحين عثرت على هذا الأداء — فجأة وعلى غير انتظار — غمرتني هذه النشوة التي تغمر كل صاحب فكرة تمليها وجهة من وجهات النقد ، وتحققها دورة من دورات الزمن ... ومن هنا كان هذا الإعجاب الخالص بتلك المحاولة التي بدأها على صفحات «المصري» منذ أسابيع ، ذلك القصاص الشاب زكريا الحجاوي !

وقلت لنفسي بعد أن قرأت له أول قصة : ترى أيكون هذا القصاص قد اهتدى إلى النبع ، نبع الأداء النفسي الذي كم تمنيت أن تكون أول ريشة تغمس فيه هي الريشة المصرية ؟ وامتزج الإعجاب الخالص في نفسي بالإشفاق البالغ ، خشية أن تكون قصته الأولى رمية أصابت الهدف من غير قصد!... ونشر الأستاذ الحجاوي قصته الثانية وإذا أنا أرجع إلى نفسي وأراجع إشفاقي : لقد كان المنهج المرسوم والهدف المقصود واحداً في القصتين ، ولم تهتز الريشة في يده . إنها تتجه إلى النبع الذي كنت أتطلع إليه في خط مستقيم لا انحراف فيه ! وبقي الإعجاب كما كان وتبخر جزء كبير من الإشفاق ... وحين دفع القصاص الشاب إلى القراء بقصته الثالثة ومن بعدها الرابعة ، أدركت تماماً أن هناك محاولة جديدة لخلق قصة جديدة ، أو بدء محاولة تخطو إلى غايتها في وعي وثبات وهي مفتوحة العينين !

فقد اهتدى القصاص الشاب إلى النبع ، وتلك محاولة من حقه علينا وعلى تاريخ الأدب أن نسجلها له ... ونحن الذين قد قنا من جانبنا بتلك المحاولة التي تهدف إلى مذهب جديد في النقد هو مذهب الأداء النفسي في الشعر ، يسعدنا أن نعثر بين الكتاب المصريين على من يبدأ بمثل هذه المحاولة في ميدان آخر هو ميدان القصة القصيرة . ذلك لأننا مطالبون في هذه الفترة من حياتنا الأدبية بأن يكون لنا كيان فني قائم بنفسه مستقل بطابعه ، أعني أنه قد آن لنا أن نتخطى مرحلة المحاكاة الناقلة إلى مرحلة الأصالة الخالقة ، أو مرحلة الجلوس حول موائد الغير الى مرحلة الجلوس حول موائدنا الخاصة !

.. يريد هذه المحاولات (المذهبية) المستقلة وندعو إليها في كل فن من فنون الأدب ، فإذا تحقق هذا الحلم الجميل واستجاب له كل كاتب في محيط مواهبه الأصيلة وملكاته الذاتية ، أمكننا أن نظفر بذلك «الأدب المصري» الذي تنسب فيه كلمة « المصرية » إلى منهجه الفني المتفرد بطبيعة التفكير وطريقة التعبير ، قبل أن تنسب إلى موطنه الذي يضفي عليه ظلال البيئة وينمره بأضواء المكان !

إننا نبارك هذه المحاولة الجديدة ونلفت إليها الأنظار ، وهي المحاولة التي طبقها الأستاذ الحجاوي على قصصه الأربع : « يوم الزفاف» و«وأنا قديس» و «الطريق الخامس» و«الشارع المسدود» ... وليثق هذا القصاص المصري الشاب أنه لو سار على هذا « المنهج النفسي » الذي اختطه لفنه في بناء القصة القصيرة ، ليثق كل الثقة من أننا سوف لا نكتفي بتسجيل محاولته ، بل سنعمد إلى وضعها تحت مجهر النقد الذي يكرس وقته وجهده لتحليل كل ظاهرة مذهبية جديدة في حقل الأدب المصري الحديث.. علينا هذا ، وعلى الأستاذ الحجاوي أن ينهض بإتمام محاولته !

سهو من الذاكرة:

في مقالنا الذي ظهر في العدد الماضي من الرسالة وردت هذه الآية الكريمة : « ورأى جداراً يريد أن ينقض » ، وهو سهو من الذاكرة ... وصحتها : « فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض »

أنور المعداوي

هل التواليت كلمة عربية؟

أذكر في جلسة بندوة الرسالة أن تحلقنا حول الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات ، وتطرق الحديث إلى شئون وشجون حول انحرافات اللغة العربية ولهجاتها في الأقطار الناطقة ، وكم كان جميلا

أن يدلى كل منا بدلوه . فقد كنا خليطاً من أبناء تلك الأقطار أو رواد بعضها أو من المارقين ببعض اللغات الأوروبية .

ودار الحديث حول بعض ألفاظ من اللغة الفرنسية ذوات أصول من اللغة العربية مثل Chemise وأصلها قميص ، و pastèque وأصلها بطيخ ، و amiral وأصلها أمير البحر . .

وهنا قلت مع القائلين : وكذلك toilette فعجب الرفاق وقالوا : فما أصلها ؟ قلت أصلها من (التولة) . قالوا : وما التولة ؟ قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرقى والتمائم والتولة شرك » وجاء فى لسان العرب : والتولة (بضم التاء وفتح الواو واللام) ضرب من الخرز يوضع للسحر أو لتحبيب المرأة زوجها أو هو ما يحبب المرأة إلى الزوج من التمائم . وعند صاحب القاموس المحيط التولة هى السحر أو شبهه فى خرزة تحبب معها المرأة إلى زوجها . وزاد على ذلك رسمها بكسر التاء وسرة أخرى بفتحها مع تسكين الواو والجمع تولات ، وقال يقول عالج السحر . وفلان ذو تولات أى ذو لطف وسحر .

أما الكلمة الفرنسية toilette فهى تصغير toile ومعناها « الزينة أى faire sa toilette » وكذلك « قطعة الأثاث المزودة بكل الأدوات الخاصة بلوازم الرأس والملبس »

لا عجب إذن فى أن تكون الكلمة الفرنسية مأخوذة من الكلمة العربية ، ووروودها فى حديث الرسول عليه السلام قبل فتح الأندلس ، بل قبل الاتساع والاتصال والترجمة فى الزمن العباسى .

والكلمة العربية فضلا عن ذلك غنية بمشتقاتها فنها الاسم والفعل والصفة . وجدير بنا أن نعمل على إحيائها وتداولها ، وتلك الرسالة منوطة بمجلة الرسالة الغراء والمجمع اللغوى الموقر

محمد محمود زيتون

ذكرى صادق عنبر :

حلت الذكرى الثانية عشرة لوفاة فقيد اللغة والأدب المرحوم محمد صادق عنبر ، فذرفت عليه ابنته دمعة تقاطرت فى هذه الأبيات :

أواه من ذكرى إذا هى أقبلت ... لم تُبق فى سكينة ووكونا
أواه منها حين تأمر مهجتى ... فتثير فيها لوعة وشجونا
يا نسمة من والد ترك الدُّنا ... أجريت دمعاً كان قبل مصونا
يا أدمع الذكرى حنانك أشفق ... فالدمع أوجع ما يكون سخينا
يا قلبى اللهوف هل لك سلوة ... تُهدى إلى وداعة وسكونا ؟
أبتاه ! والذكرى حياة طاقة ... تفنى السنين وإن مررن قرونا
قد كنت لى عوناً فصرت بغيره ... لا أعرفن على الزمان معينا
قد مر عيشى بعد فقدك علقما ... ولقيتُ من دنيا الهموم فنونا ...
وألفتُ أكدار الحياة كريهة ... ورضيت بعدك أن أذوق الهُونا
لو كنت حياً لم تكن لى غصة ... ولكان هم عارضاً مرهونا ...
أشتاق طيفك فى المنام يزورنى ... فيحاصم اليومُ العنيدُ جفونا
فأزور قبرك فى الغداة يهزنى ... شغف بقربك لا يزال كمينا
وأطواف بالقبر الذى أودعته ... أملا عزيزاً فى التراب دفينا
ويطول فى الطواف غير ملولة ... أعلى النـــداء تشوقا وحنينا
ويظل صوتى هاتفا فى كربة ... حتى يمزقه الهتاف أنينا
وأروح من بعد الطواف حسيرة ... فى سكرة تدع الفؤاد طحينا
أبتاه ! إن بكت الرفاق فقد بكت ... قلما يتيه به الأديب مبينا
وبكت إخاءك إذ رحلت مصافيا ... ثبت المقام على الإخاء أمينا
وأنا التى أبكيك . كنز أبوة ... أبكيك ركنا فى الحياة ركينا
أبكيك قلبا خافقا لى رحمة ... ما إن يزال بها الزمان ضنينا
أبكى منار هدى ، وظل هناءة ... ومناط عز لا يرام مكينا
فلئن ذكرتك فى منيبك ، إننى ... قلبا بموصول الوفاء ضمينا

ودار صادق عنبر

إدارة البلديات العامة

مبانى

تقبل العطاءات ببلدية طنطا لغاية ظهر ٩ مارس ٩٥٠ عن عملية بناء دورة مياة لمحطة الكهرباء وتطلب الشروط من بلدية طنطا نظير مائة مليم بخلاف أجرة البريد .

٤٢٣٣

منزل للبيع

للكاتب الفرنسي ألفونس دوديه

بقلم الاستاذ أنور لوقا

وراء تلك اللافتة الصغيرة المتدلة المعلقة على باب بيت من البيوت ، قرأ ألفونس دوديه — وهو الذي لقب نفسه « بالشيء الصغير » واستلهم اشياء أدبه — هـذه المأساة الانسانية المؤثرة .

فوق الباب ، باب خشبي واهي المفاصل ، يدع رمل الحديقة الصغيرة يختلط بتربة الطريق على بسطة من الأرض ، كانت لافتة معلقة منذ أمد بعيد ، ساكنة في شمس الصيف ، معذبة تعكوفي ريح الخريف ، عليهـا « منزل للبيع » ، واعلها كانت تقول أيضا « منزل مهجور » ، فقد كان الصمت يكتنف الدار .

ولكن أمرأ كان يقيم هناك . فإن دخانا خفيضا مزرقا يصعد من آجر المدخنة الذي يعلو الجـدار قليلا ، كان ينم عن حياة خفية ، متكتمة ، حزينة كهذا الدخان الذي ينبعث من نار الفقراء . ثم من خلال ألواح الباب المزعزعة ما كنت تحس الإهمال والخواء ، وهـذا الجو الذي يسبق ويعلن بيما أو رحيلا ، بل ترى ممرات الحديقة مستقيمة التخطيط ، وعرائش مستديرة مشذبة ، وماق بجـوار الحوض ، وأدوات بستاني مسندة إلى البيت الصغير . لم يكن ذلك الربع سوى بيت من بيـوت الفلاحين ، يتوازن على هـذه الأرض المنحدرة بسلم صغير قـد تحمي الطابق الأول جهـة الظل والطابق الأرضي جهة الجنوب . ومن تلك الجهة كان يخيل إليك أنه معمل من معامل الإنبـات . فقـد رصت على درجات السلم نواقيس زجاجية ، وأصص فارغة مقلوبة ، وأخرى منضودة على الرمل الأبيض الساخن قد نما فيها « الجيرانيوم » و « العرفين » بيد أن الحديقة كلها ، فيما عدا شجرتين او ثلاثا من شجر السرج الفارع ، كانت تحت وهج الشمس . وكانت تمتد في النور الساطع مروحة من أشجار الفاكهة ، قائمة على أسلاك حديدية ، أو مشرشقوقد انتزعت بعض أوراقها إعدادا للثمرة ليس غير ، كما اصطفت أيضا أغراس من الشليك وأغراس من الباذلاء تتسلق قضبانا طويلة مثبتة في الأرض . وفي وسط هذا النظام وهذا الهدوء ، كان رجل عجوز ، ذو قبعة من الخوص ، يجوس خلال المسالك طول النهار ، يروي في الساعات الرطيبة ، ويقتطع ويشذب الأغصان ويسوي الأفاريز .

هذا الشيخ لم يكن يعرف أحدا في البلد . لم يكن يطرقه زائر قط . اللهم إلا عربة الخباز التي كانت تقف بكل باب في شارع القرية الوحيـد . وأحيانا كان يرى اللافتة عابر من الناس يلتمس قطعة من أراضي السفح هذه الفنية الخصبة التي تمنح بساتين جميلة فيتوقف ليقرع الباب ، يقرع في أول الأمر فإذا البيت أصم . ثم يقرع ثانيا ، فيدنو من أقصى الحـديقة وقع « قبقـاب » في بطء وتؤدة ، ويوارب الشيخ بابه وهو متجهم الوجه :

ـ ماذا تريد ؟

ـ هل المنزل للبيع ؟

فيجيب الرجل الطيب القلب في جهد :

ـ نعم ... ولـكني أقول لك مقـدما إنهم يطلبون فيه ثمنا غاليا جدا ...

وكانت يده المتأهبة لإغلاق الباب تسده عليك — وكانت عيناه تطردانك ، فما أشد ما كانتا تظهران من سخط ، وكان يظل هناك قائما كالفارس على حراسة أحواضه وخضره وفنائه الصغير المفروش بالرمل . وإذ ذاك كان الطارقون يتابعون سبيلهم وهم يسائلون أنفسهم من تراه يكون هذا المخبول الذي عرضوا له ؟ وأي جنون هذا الذي يحمله على الإعلان عن بيع منزله بهذه الرغبة الملحة في الاحتفاظ به .

وأخيرا وضح لي هذا السر . ذات يوم وأنا مار أمام البيت الصغير ، سمعت أصواتا ثائرة ، وصخب مناقشة حامية .

يجب البيع يا أبانا ، يجب البيع . لقد وعدت بذلك وسمعت صوت الأب متهدجا يقول : إني يا أولادي لأطاب أفضل من البيع ... أما ترون القدر وضعت اللافتة . وهكذا علمت أن هؤلاء هم أبناؤه وكناته ، تجار من صغار أصحاب الحوانيت في باريس ، يحملونه على أن يتخلص

من هذا الركن الحبيب . لأى سبب ؟ هذا ما كنت أجهله . أما المؤكد فهو أنهم بدأوا يلمسون أن الأمر قد طال وأن الشيخ يماطلهم . ومنذ ذلك الوقت أقبلوا بانتظام يوم الأحد من كل أسبوع ، يستهضون الرجل المسكين ويحثونه على أن ينجز وعده ومن الطريق فى هذا الصمت المريض الذى يسود القرية يوم الأحد ، حين تستريح الأرض ذاتها من كونها قد حرثت وبذرت طوال الأسبوع ، كنت أسمع ذلك جليا . كان التجار الصغار يتحدثون ، ويتجادلون فيما بينهم وهم يلعبون لعبة « البرميل » ، وكانت كلمة « النقود » ترن رنينا جافا كهذه الأقراص المدنية التى يقذفونها . وفى المساء كان الجميع يرحلون ، وكان الرجل الطيب القلب ، بعد أن يرافقهم فى الطريق بضع خطوات ، يعود مسرعا فيغلق من جديد بابه الغليظ سعيدا مبتهجا ، وقد ظفر بعطلة لمـــدة أسبوع . ويستعيد البيت سكونه ، ويظل ساكنا ثمانية أيام ، فما تسمع فى الحديقة الصغيرة التى تلفحها الشمس إلا صوت الرمل يسحقه وطء قدم ثقيلة أو تجرفه المجرفة .

على أنهم من أسبوع لأسبوع ، راحوا يضيقون الخناق على الشيخ . ولم يدخر صغار التجار وسيلة من الوسائل . أحضروا الأحفاد لإغرائه : « أترى ياجدنا ، حين يباع البيت ستأتى لتسكن معنا . وكم سنكون سعيدين معا ! ... » ثم كانت أحاديث منفردة يلقيها كل امرىء لنفسه فى ركن من أركان البيت على حدة ، وسير خلال ممرات الحديقة لا يقف عند حد ، ومسائل حسابية يجريها صوت مرتفع . ومرة سمعت إحدى البنات تصيح :

— هذا الخص لا يساوى مائة دانق ... إنه خليق بأن يهدم .

وكان الشيخ يصغى دون أن يقول شيئا . كانوا هم يتكلمون عنه كأنه قد مات ، وعن داره كأنها قد هدمت بالفعل . فكان يتجنبهم ويمشى ، أحدب الظهر ، والدموع ملء عينيه ، ملتمساً كعادته غصنا يشذ به أو ثمرة يعنى بها أثناء مروره . وإنك لتحس أن حياته قد تغلغلت جذورها فى هذا الركن الصغير من الأرض تغلغلا لن يبعث فيه القدرة على اجتثاث نفسه منه . والحق أنه كان مهما افتنوا فى إغرائه ، يرجىء دائما لحظة الرحيل . فى الصيف ، حين تنضج هذه الثمار التى يوحى إليك مذاقها الحامض ببعض الشىء بأن السنة ما زالت فى نضرتها وريعانها ، ثمار الكرز ، والبرقوق ، والمشمش ، كان يقول :

لننتظر المحصول ... سأبيع بعده مباشرة .

وبعد المحصول ، بعد انقضاء موسم الكرز ، يأتى موسم الخوخ ثم العنب ، وبعد العنب تأتى ثمار « النيفل » السمراء الجميلة التى يكاد المرء يجنيها تحت الجليد . وحينئذ يأتى الشتاء ، فيسود الريف وتخلو الحديقة . الآن لا مارة ، ولا ثمراة ، بل ولا صغار التجار يوم الأحد ، وإنما ثلاثة أشهر عريضة من الراحة لإعداد البذار ، وتقليم أشجار الفاكهة ، بينما تتأرجح على الطريق اللافتة الباطلة وقد قلبها المطر والريح .

وعلى مر الأيام ، فرغ صبر الأبناء واقتنعوا بأن الشيخ كان يبذل كل ما فى وسعه لإقصاء المشترين ، فاتخذوا قراراً حاسما . قدمت إحدى السكنات واستقرت بجانبه ، وتلك امرأة صغيرة من نساء الدكاكين ، حالية منذ الصباح ، بارعة فى إظهار الحفاوة وتكلف الرقة والتلطف فى المجاملة براعة الذين اعتادوا التجارة . وكأن الطريق قد أصبح ملكها . فقد كانت تفتح الباب على مصراعيه ، وتتحدث وتلغو ، وتبتسم للمارة كأنما تقول لهم :

— أدخلوا ... أنظروا ... إن المنزل للبيع !

ولم تمد للشيخ المسكين مهلة بعد ذلك . أحيانا كان يحاول أن ينسى أنها هناك ، فينصرف إلى تقليب حياته وبذرها من جديد ، كهؤلاء الناس الذين يوشكون على الموت ويحبون القيام بمشروعات ليخدعوا مخاوفهم . ولكن البائعة كانت تتبعه طيلة الوقت وتنغص عليه . — دع ! ما انتفاعك بهذا ؟ ... أمن أجل سواك تجشم نفسك كل هذا التعب ؟ فما كان يجيبها وإنما كان ينكب على عمله فى عناء غريب . إن ترك حديقته لمبث الاهمال معناه فقدانها بعض الفقدان منذ ذلك الوقت ، وبدء انفصاله عنها . ولهذا ما كنت تجد فى الممرات عودا واحدا من العشب ، ولا فى شجيرات الورد فصنا طفيليا .

وظل البيت معروضا للبيع ، ولكن الشراة لم يتقدموا .

ذلك أن الحرب قد نشبت . وعبثا ثابرت المرأة على فتح بابها وإرسال النظرات المسئولة إلى الطريق ، فلم يكن يمر غير النازحين من الأرض ولم يكن يدخل إلا الغبار . واشتد غيظ السيدة من يوم إلى يوم ، لا سيما وقد كانت أعمالها في باريس تستدعيها . كنت أسمعها توسع حماها لوما وتأنيبا ، وتقسو في الهجوم عليه وتخبط الأبواب ، وأما الشيخ فكان يحني ظهره دون أن يقول شيئا ، ويتعزى إذ يبصر بزلاءه الصغيرة تنمو ، واللافتة معلقة في مكانها دائما : « منزل للبيع » .

وفي هذا العالم ، عندما وصلت إلى الريف ، وجدت المنزل وعرفته ! ولكن واحسرتاه لم تكن اللافتة هناك ! كانت إعلانات ممزقة بالية لم تبرح عالقة بأوجه الجدران . لقد قضى الأمر ، وباعوه ! ... وفي مكان البوابة الرمادية الكبيرة أصبح باب أخضر ، حديث الطلاء ، تعلوه عتبة مستديرة ، وتتفتح فيه نافذة ذات قضبان ، تلوح من ورائها الحديقة . ولم تعد الحديقة ذلك البستان الذي كنت أعهده هناك قديما ، بل غدت خليطا (بور جوازيا) من السلال ، والخضرة ، ومساقط الماء ، وصورة لهذا كله تنعكس على كرة معدنية تتأرجح أمام الدرج . وفي هذه الكرة ، بدت المرات صفوفا من الأزهار الزاهية ، وامتد شكلان في كثير من المبالغة والتهويل ، رجل سمين أحمر ، غارق في عرق غزير ، غائص في كرسي من كراسي النزهة الخلوية ؛ وسيدة ضخمة لاهثة الأنفاس ، تصبح وهي تطوح مسقاة بيدها .

ـ لقد دفعت ثمنا للبلسمين أربعة عشر !

وكانوا قد شيدوا طابقا ، وجددوا السياج ، وفي هذا الركن الصغير المستطرف ، الذي مازالت تفوح منه رائحة الطلاء ، كان (بيانو) يعزف ملء الريح مقطوعات صاخبة مبتذلة وألحانا جذلة مما ترددة جلبات الرقص العامة . وهذه الأنغام الراقصة التي كانت تنطلق إلى الطريق البيضاء الحارة ، مختلطة بقتام يوليه الكئيب ، وعجيج تلك الأزهار الضخمة ، والسيدات الضخمة ، هذا المرح الغامر الفياض ، هذا المرح السوقي المبتذل ، كان يقبض قلبي . كنت أفكر في الشيخ المسكين الذي كان يتمشى هنا راضيا وادعا سعيدا ، ثم أتمثله في باريس ، وقبعة القش على رأسه ، وحدبة البستاني المحزون في ظهره ، هائما في غور دكان ما ، ضيقا بأمره ، حييا ، مشحونا بالدموع ، بينما تتبوأ زوجة ابنه الظافرة خزانة جديدة ، ترف فيها قطع ذهبية هي ثمن البيت الصغير .

أنور لوقا

وزارة الصحة العمومية

تقبل عطاءات بمكاتب حضرات أطباء أول المستشفيات الآتية لغاية الساعة الثانية عشر ظهر يوم ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٠ لتوريد الأغذية اللازمة لهذه المستشفيات لعام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ وهي :

الانكلستوما رقم ٢٢ بالجيزة — الحياط الواسطي — إطسا فيوم — مغاغة — السفكرية — سمالوط — بني مزار — البلينا — قوص — عنيبة — القصير — شبرا الخيمة — أجا — إنشاص — دسوق — الطيبة بنبروه — فوه — الرمد والانكلستوما بابي كبير شرقية — الانكلستوما ـ ٤٠ بدير ناحم — زاوية الناعورة — تلا — الانكلستوما ٣٩ بطوخ — الانكلستوما ٢٤ باتياي البارود شبين القناطر .

وتطلب قوائم الناقصات من المستشفيات نفسها على ورقة تمغة فئة ثلاثين مليما وثمن كل قائمة ٢٥٠ مليم للنسخة الواحدة مضافا إلى ذلك مبلغ ثلاثين مليما أجرة البريد .

٤٢٤٩

دعبل الخزاعي

تأليف السيد محسن الأمين

للاستاذ ابراهيم الوائلي

ليس من شك في أن دعبلا الخزاعي من أشهر شعراء القرنين الثاني والثالث للهجرة فقد تطرق في نظمه إلى مختلف المواضيع وتعرض بشعره إلى كثير من الأشخاص، وعرض نفسه إلى شتى المخاطر حتى انتهت حياته إلى الاغتيال وهو بعيد عن أهله ووطنه.

ولقد نظر مؤرخو الآداب إلى هذا الشاعر من زاوية المقاييس العامة التي حددوا بها الشعر القديم فسموه شاعراً هجاء مقذعاً في هجائه وشاركهم في الرأي بعض المؤرخين المحدثين، ولكننا حين ننظر إلى هذا الشاعر نظرة فيها شيء من العمق والتحليل نستطيع أن نسميه شاعراً سياسياً وإن يكن في شعره مايسمى هجاء بالمعنى الدقيق لأن بعض الذين تناولهم ليس له خطر في المجتمع.

وليس من شك في أن شعر دعبل يمثل حياته المضطربة ونفسه الثائرة ونوازعه المذهبية التي دفعت به إلى كثير من المخاطر، وما تعرض به للخلفاء العباسيين يمثل صفحة كبيرة من الشعر السياسي العارم في العصر العباسي الأول وليست السياسة بأكثر من أن يتعرض الرشيد وأولاده وأحفاده ويتناولهم تناولاً شديد الوقع على أنفسهم حتى أغضبهم واق منهم الجفوة والمنت كما اق منهم الحظوة والتكريم، يقربه الرشيد ويرفع من منزلته فيناله بعد موته، ويصفح عنه المأمون فيقابل هذا الصفح بالتمرد والطعن، ويشنع على أبي عباد وزير المأمون فلا يجد منه غير السكوت، ويسخر بإبراهيم بن المهدي أشد السخرية ويتندر بالأمين والمعتصم، ويغضب المتوكل فلا يسلم منه إلا بالهرب، ويتجاوزهم إلى غيرهم من ذوي المكانة في المجتمع حتى نعته مؤرخو الآداب بنعوت شتى من سلاطة اللسان وإفحاش الكلام وأقذاع الهجو، وكل هذه النعوت التي وصفوا بها الشاعر مردها إلى تلك النظرة السطحية التي لم تتوغل إلى دخيلة القلب ولم تتعمق في مطاوي النفس، مع أن الأمر أيسر مما تصوروه في هذا الشاعر. ولو أنهم أرجعوا هذه الثورة إلى منابعها الأصلية ودوافعها الذاتية لأنصفوا الشاعر وأعطوه نصيبه من الدراسة التي تفيد وأفادوا من شعره في تاريخ الأدب السياسي، وما هذه المنابع والدوافع إلا عقيدة الشاعر ومذهبه؛ فقد كان دعبل ممن يوالون آل علي ويتعصبون لهم، وقد مدح أحياءهم مدحاً قوي العاطفة والإحساس، وبكى شهداءهم بكاء سخي الدموع شديد الحزن، وكان من البديهي أن يقف الشاعر من خصومهم موقفاً لا يرضي الخصوم وأن يتعصب لأوليائه ويدافع عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فالرشيد قد آذى الامام الرضا وسجنه وهو من أئمة دعبل، والمأمون يبايع الرضا بولاية العهد ثم ينكل عن هذه البيعة، والمتوكل يغضب الشيعة ويطاردهم حتى في ضريح الامام الحسين، وابراهيم بن المهدي يبايعه الناس في بغداد عناداً للمأمون في موقفه الأول من الامام الرضا، وابراهيم هو من هو في لهوه وعجونه، وأبو عباد وزير المأمون كان شرس الخلق جافي الطبع.

إن من الحق لدعبل — وهو يتولى آل علي — أن ينتصف لهم ويدافع عنهم ويندد بخصومهم ولو ناله ما ناله من الأذى والتشريد لأن هذا جزء من عقيدته الدينية ومذهبه. وليس بغريب عليه أن يتعصب لعقيدته ومذهبه ما دام يجد في هذا التعصب لذاته الروحية واطمئنانه النفسي، وما دام يرى آل علي أصلح من غيرهم لرعاية دينه وعقيدته وأولى بالحكم من سواهم.

هذه النقطة الدقيقة في تاريخ هذا الشاعر وجدنا منها لمحة عابرة في كتاب «دعبل الخزاعي» لسماحة العلامة السيد محسن الأمين وهو كتيب صغير ألف في الأيام القريبة وطبع في دمشق.

وكنا نود أن تكون هذه النقطة موضع عناية المؤلف الجليل ولكنه لم يفعل ذلك جرياً مع عادته في التأليف إذ أنه يعنى بالترجمة وجمع ما تفرق من أخبار المترجم له وتتبع حياته الأدبية والمادية إذا كان للثانية صلة بالأولى دون إطالة في التحليل أو عمق في الدراسة، على أنه لا ينسى أن يمحص الأخبار التي ينقلها عن حياة الشاعر ويطرح الزائف منها وينقد المشكوك فيه ويقارن ويوازن وكثيراً

وكثيراً ما يستنبط من الخبر الواحد فوائد كثيرة تدل على ميله إلى التحليل والتعمق، ولكنه ميل قليل بالنسبة لطريقته العامة التي أشرنا إليها والتي تتجلى لنا في هذا الكتيب الصغير الذي جمع فيه معظم ما تحدث به المؤرخون عن دعبل الخزاعي وعن مواقفه من الخلفاء وصلته بهم ومقدار ما ظفر به من إطراء وتنويه بشاعريته . ثم علاقته بآل علي ومدحه إياهم . وفي الكتاب منتخبات كثيرة من شعر دعبل في المديح وفي السياسة ، وقصيدته التائية المشهورة في آل البيت التي يمدحهم بها ويستعرض مصارع الشهداء منهم استعراضاً حزيناً باكياً وغير ذلك من المقطوعات .

وعمل هذا الكتاب عمل ضئيل بالنسبة لما أنتجه سماحة السيد الأمين من كتب وموسوعات في الأدب والشعر إلى جانبه كتبه الدينية النافعة .

ابراهيم الوائلي

أجـــواء

تأليف الاستاذ حسن محمود

للاستاذ ابراهيم محمد نجا

كتاب صغير الحجم ، قليل الثمن ، ولكنه على صغر حجمه ، وقلة ثمنه ، يجمع بين القيمة الفنية الكاملة ، والمتاع النفسي الوفير .

ومؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ حسن محمود ، وهو كاتب قصصي من طراز رفيع ، يعمل للمجد الأدبي ، دون أن يحفل بالشهرة الزائفة ، ولذلك يعنى كل العناية بجودة إنتاجه وإتقانه ، لا بكثرته والاسراع فيه .

وهذا الكتاب يضم طائفة من الأقاصيص ذات أجواء مختلفة بعضها يمثل الحياة المصرية التي يعرفها الأستاذ عن خبرة وتجربة ، وبعضها الآخر يمثل الحياة الأوربية التي ألم بها في رحلاته وأسفاره ، وإن كانت هذه الأجواء المختلفة تتفق في أنها تصور النفس البشرية ، في إطارها من الحياة الانسانية العامة .

وكثيرون من كتاب القصة المصرية يهدفون في قصصهم إلى إثارة القارىء إثارة حسية ، إما بالاكثار من وصف أجساد النساء ، وإما بالاعتماد على الحوادث الضخمة المثيرة ، وإن كانت في صميمها فارغة من المعاني والدلالات ! ولكن هؤلاء لا يفهمون فن القصة ، ولا يعرفون رسالتها الفنية ، وإنما يعرفون ويفهمون شيئاً واحداً هو اكتساب الشهرة الزائفة ، بتملق غرائز الجماهير !

أما الأستاذ حسن محمود ، فإنه يعنى في قصصه أول ما يعنى ، بإبراز الأثر الداخلي الذي تعكسه الحوادث الخارجية في نفوس شخصياته ، لا لذاتها ، ولا لتعمد إثارتها ، ولكن لأثرها النفسي ، ومن ثم تكون الحادثة الصغيرة لها حظ كبير ، لأنه يعرف كيف يستلهم منها المعاني الكبيرة ، وكيف يستخرج منها الدلائل العميقة ، وهذه هي المقدرة ، وتلك هي البراعة . وشيء آخر يتصل بذلك ، هو أن الأستاذ حين رسم شخصياته لا يعتمد في ذلك على الألفاظ وحدها يسرد بها أوصاف تلك الشخصيات سرداً متتابعاً ، كما يفعل بعض كتاب القصة عندنا ، ولكنه يوزع لمساته التصويرية على أجزاء القصة كلها ؛ ليتسنى له استخدام الحوادث في الرسم والتصوير ، فلا ينتهي من القصة حتى تكون شخصياتها قد استوفت حظها من دقة التصوير ، وبلغت قسطها من قوة الحياة .

وقد قلنا إن الأستاذ حسن محمود لا يعتمد في إثارة قارئه على الحوادث الضخمة المثيرة ؛ ونزيد هنا أن مادة قصصه لهذا السبب تمتاز في مجموعها بالبساطة والعمق ؛ لأنه يتناول الحادثة البسيطة في مظهرها الخارجي ، فيتعمقها بفكره وروحه وتجاربه ، ثم يعرضها لنا ، فنرى فيها ما لم نكن نرى ، ونفهم عنها ما لم نكن نفهم ، فهو من أولئك الملهمين الذين يلتقطون الفتات المتساقط من مائدة الحياة ، فيحيلونه بفنهم أعظم غذاء للنفس الانسانية ، في حياتها المثالية الرفيعة !

وأسلوب الأستاذ في قصصه ، يلائم مادة هذه القصص كل الملاءمة ؛ فهو مثلها بسيط عميق ، ينساب كالماء في رقة ودعة ، لا من سهولة مجراه ، ولكن من طبيعة مسراه ، فلا ترى فيه المبارات الطنانة ، والكلمات الضخمة ، وإنما هي كلمات طبيعية يؤلف بينها في حذق وبراعة ، فإذا هي عميقة الدلالة ، قوية الايحاء ، وافرة الأنغام والأصداء ، والأضواء والظلال !

والأستاذ هادىء الشخصية ، كما يبدو من خلال أسلوبه ، وطريقة عرضه لقصصه ، هادىء حتى حين يريد أن يسخر من بعض الناس سخرية خفية مبطنة ، فتراه يفعل ذلك فى شىء أقرب إلى الحياء ، وبصورة لبقة مهذبة قد تثير الضحك ، ولكنها على كل حال لا تجرح الاحساس !

وهو هادىء أيضاً حين يلمس فى قصصه أحزان الناس ومآسيهم ، وليس ذلك من قلة تأثره بها ، ولكن لأنه من أولئك الذين يحزنون فى صمت ، فيكون صمتهم أبلغ من كل كلام حزين ! وصراخ الانسان قد يثير الفضول أكثر مما يثير الرثاء والاشفاق ، ولكن دمعة واحدة تذرفها عين محزون ، فى صمت وسكون ، تهز النفوس ، وتثير الدموع !

وهو حين يسجل الانفعالات النفسية لشخصية إنسانية ، يحيطها بما يلائمها من الأجواء والمشاهد ، فيكون ذلك منها بمنزلة الاطار من الصورة . يتجلى ذلك فى قصته « نظرة إلى شاعر » . ففى هذه القصة تراه يرصد الانفعالات النفسية كما تظهر فى شخصية شاعر ركب معه القطار الذاهب من مدينة « بون » الألمانية ، إلى « كوبلنز » ، ويسجل مع هذه الانفعالات المختلفة ، ما يطرأ على مشاهد الطبيعة من تغير واختلاف ، بحيث يجعل من ذلك كله وحدة متناسقة .

وهو ينتقل بشخصياته من جو إلى جو ، ومن حال إلى حال ، بعد أن يمهد لذلك تمهيداً مناسباً ، بحيث يبدو هذا الانتقال طبيعياً ممكناً ، لا أثر فيه للتكلف والاستحالة ، وهو يقتصد فى طريقة عرضه ، بحيث يتجنب الحواشى والفضول ، كما يقتصد فى تعبيره بحيث يخلص فى لباقة من الكلام المكرر المألوف إن لم يكن منه بد فى موضع من مواضع القصة ؛ ففى قصة « قسم » نرى حسيناً يسير بعد الغروب فى طريق مهجورة ، ثم يتنبه فجأة لوقع أقدام تطأ الأرض بخفة ، فيلتفت وراءه ، فاذا فتاة مصرية غضة الشباب هيفاء القوام تسير مثله فى هذه الطريق ... فلو أن قصاصاً آخر عرض لمثل هذا الموقف فى قصة من قصصه ، لاستغله كما يشاء ، فى كلام كثير ، وحوار طويل يثير الحس ، وينبه الغرائز .

ولكن الأستاذ حسن محمود يكتفى فى هذا الموضع بأن يقول : ارتاحت نفس حسين لمنظر هذه الفتاة ، فسار إلى أن حاذاها عازماً على أن يكلمها بأية وسيلة ، ولسنا نريد أن نقص كيف بدأ الحديث فان حسيناً لا يذكر كيف كان ذلك ، ونحن لا نود أن نفضح سرها ، ولكننا نقول أننا رأيناهما يسيران جنباً إلى جنب ، ثم كانا بعد نصف ساعة فى سيارة تسير بهما سريعاً إلى حيث مسكن الفتاة » . وهذا غاية فى حسن الايجاز ، وبراعة التخلص .

وللاستاذ حسن محمود ملاحظات صائبة ، ينثرها فى خلال قصصه وهى ملاحظات تنم عن تجارب كثيرة ، وثقافة واسعة ، وفهم عميق للحياة .

أما بعد ، فقد حلقت فى هذه الأجواء حيناً من الزمن ، فأتاح لى ذلك لذة روحية عميقة ، ومتعة نفسية كاملة ، فمن واجبى أن أوجه إلى صاحب هذه الأجواء ، شكرى الخالص لما أتاح لى ، ومن واجبى كذلك أن أعبر له عن تقديرى الصادق لمقدرته الفنية . وأنا أعلم أنه لن يرضى عما كتبته عنه ، تواضعاً منه وحياء ؛ فقد عرفته جم التواضع ، وافر الحياء . ولكن ما ذنبى أنا ، وما كتبته هو الحق والحق ينبغى أن يقال ؟

ابراهيم محمد نجا

احمد حسن الزيات

يقدم

تاريخ الأدب العربى

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوى ، ومستيعاب موجز وتحليل مفصل ، واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى .

طبع عشر مرات فى ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد